الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

العرب الهلالية في بلاد المغرب الأوسط
وعلاقتهم بالمجال والسلطة والمجتمع
(عهد الدولة الحمادية) أنموذجا

مذكرة مكمّلة لمتطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

إعداد الطالب(ة):

هدى حملاوي

د. حفيظة لعياضي	جامعة المسيلة	رئيسا
أ.د. مفتاح خلفات	جامعة المسيلة	مشرفا
د. محمد الصديق محمودي	جامعة المسيلة	عضوا

السّنة الجامعيّة: 1441-1442هـ/2020-2021م

الشكر والعرفان:

ومن باب الاعتراف بالفضل لذويه الّذي توجبه أخلاق العلم، أراني مطوقا بأفضال المشرف **الأستاذ الدكتور مفتاح خلفات** الّذي تابع هذا العمل بمختلف خطوات إعداده بحرص جامعي متأصل وعناية أكاديمية رصينة.

ولم يكن هذا البحث ليصل إلى ما وصل إليه دون تدقيقه وملاحظاته وتوجيهاته وتشجيعاته.

المقدمـة

عرف المغرب الاسلامي خلال القرنين 4 و5الهجريين/ 10-11الميلاديين، حدثان بارزان، الأول تمثل في رحيل الدولة الإسماعيلية، ونهاية الحكم العربي في بلاد للمغرب بينما تمثل الثاني في دخول القبائل الهلالية إلى هذا المغرب الإسلامي، بعد القطيعة بين افريقية ومصر، وكان لهذا الحدث الأخير صدى كبير على المسار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في المجتمع المغربي.

كان للمغرب الأوسط نصيبا من هذه الأحداث خاصة في عهد الدولة الحمادية التي تنعم بالحكم في ظل سيطرة الجماعات الهلالية على المجال (القرى والأرياف) وعلى المسالك التجارية؛ محاولين بذلك الاستقرار والاندماج بالمجتمع المغربي.

ومن هنا ارتأيت أن أعالج هذه الهجرة الهلالية إلى المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي وكيف تعاملت السلطة الحمادية بعد دخولهم إلى المغرب الأوسط. بعيدا عن أي تأثير إيديولوجي أو سياسي .من خلال إبراز علاقة السلطة الحمادية بالقبائل الهلالية وتأثيراتهم على الجانبين الاقتصادي والاجتماعي.

ويأتي تناولي لموضوع " العرب الهلالية في المغرب الأوسط وعلاقاتهم بالمجال والسلطة والمجتمع (عهد الدولة الحمادية) انطلاقا من عدد من الاشكالات أهمها:

- ماهية الهجرة الهلالية؟.
- ماهي أحوال المغرب الإسلامي قبل وبعد الهجرة؟.
- وكيف واجهت السلطة الحمادية هاته الجماعات الهلالية؟ إلى أي مدى استطاعت السلطة احتوائهم وإدماجهم؟
- هل يمكن إسناد ظاهرة الاستقرار الهلالي بالمغرب الأوسط إلى خلفية اقتصادية أم سياسية؟وما هي النتائج المتمخضة عن ذلك ؟.

- كيف أثرت الجماعات الهلالية على المجتمع الحمادي؟ وهل كان صراع وتنافس أم حضارة وتعايش؟
- ما هي الآثار المترتبة على سيطرتهم على المسالك والطرق التجارية؟.

وفي سياق الإجابة على هذه الاشكالات لاقيت بعض الصعوبات ومن بينها، غياب المصادر التي عاصرت الأحداث بشكل مباشرة، لذا كانت الصعوبة تتمثل في التعامل مع بعض النصوص التي تحاملت على هاته الجماعات خاصة في المغرب الأوسط. وكذا المراجع العربية في معظمها نقلت عن المستشرقين المناهضين لهذه الجماعات.

واقتضت الإجابة عن مجمل الاشكالات المطروحة أن اعتمد على منهجا قاربت فيه بين النصوص وحللت قدر الإمكان مع التزامي بالمصادر للتوثيق وللأمانة العلمية لأنه يتلائم وطبيعة الموضوع.

وحرص مني على الالتزام بخطوات المنهجية المقررة في التعامل مع البحث العلمي اعتمدت خطة تقوم على فصلين:

الفصل الأول: عالجت فيه عن ماهية الهجرة الهلالية، وفي العنصر الموالي تحدثت عن أحوال المغرب الاسلامي قبل وبعد الهجرة الهلالية، والأسباب التي أدت إلى ذلك.

وباعتبار أن الوضع السياسي له تأثير مباشر على الوضع الاجتماعي والاقتصادي بالدرجة الأولى خصصت الفصل الثاني علاقة القبائل الهلالية بالسلطة والتجارة والمجتمع الحمادي

وخلال معالجت للموضوع اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع البحث كالتالي:

1- المصادر:

كتب التاريخ والحوليات:

-ابن خلدون وكتابه العبر الذي ألفه على تسلسل الزمن في سرد الأحدث، واستفدت منه في رصد الهجرة العرب الهلالية إلى بلاد المغرب الاسلامي، ومستوى معالجته لظاهرة الهلالية من خلال ظاهرة الحرابة والاستقرار والاندماج في المنظومة الاجتماعية من بوابة التصوف.

-كتب الرحلات والجغرافيا :التي كانت لازمة الحضور، ومن الضرورة الاعتماد عليها، لأن التاريخ عبارة عن أحداث وحيثيات تقع ضمن رقعة جغرافية معينة، فكانت هذه الكتب واصفة تزيد في التعريف ورصد حركة القبائل العربية في بلاد المغرب الاسلامي، من أجل هذا استعنت ببعضها مثل نزهة المشتاق للإدريسي الذي ركز على الجانب الاقتصادي والاجتماعي في بلاد المغرب الإسلامي ووصفه وصفا دقيقا.

2- المراجع:

لأجل التعاطي مع المعلومات المصدرية السابقة لم يكن لي أن أغفل بعض المراجع المتخصصة وتحليلها لبعض الحوادث التاريخية فكان لكتاب المدينة والبادية محمد حسن حيث ساعدني على توضيح الرؤية حول تاريخ بلاد المغرب الاسلامي وخاصة الاقتصادي والاجتماعي، كما اعتمدت على مصطفي أبو ضيف في كتابه القبائل العربية في بلاد المغرب والوجود السليمي بالجزائر للكاتب عبد الحميد خالدي.

تعد الهجرة السكانية نحو المناطق المختلفة من العالم ذات تأثير حضاري؛ ونقطة جذب للساكنة نحو الاستقرار والتبادل الثقافي والمعرفي في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية؛ ومن بين الهجرات السكانية التي كان لها تأثير ذا أهمية بالغة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالمغرب الإسلامي الهجرة الهلالية خلال القرن 5هـ/11م.

1- ماهية الهجرة الهلالية

أ-التعريف بهم:

تجمع المصادر التاريخية أن أصل العرب الهلالية[1] يعود إلى قيس عيلان، وليس في العرب((عيلان)) بالعين المهملة غيره- لأن الهلالي بكسر الهاء- هي نسبة لبني هلال[2]، وهم بطن من عامر بن صعصعة من هوزان من العدنانية[3]، هذه المعطيات التاريخية تقر

[1] – أطلق على هؤلاء العرب اسم الهلالية من باب تسمية الكل باسم الجزء لشهرته والحقيقة أنهم كانوا ينتمون إلى قبيلتين من قبائل الحجاز هما هلال التي كانت تسكن جبل زغوان بالقرب من الطائف وسليم التي كانت تقيم بالقرب من المدينة. وأغلب الظن أن الصفات المشتركة كانت تجمع بينهما وعززت ذلك أواصر المصاهرة بينهما بحيث تحولت إلى تماسك حيوي ومصيري فكانتا معا في الحل والترحال حتى نسبهما العديد من المؤرخين إلى أصل واحد.حسين ممدوح وشاكر مصطفى: الحروب الصليبية في شمال أفريقية وأثرها الحضاري،ط1،دار عمار-عمان، 1419هـ/1998م، ص 118.

[2] – السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي: الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت، 1998م، ج5، ص 657.

[3] – القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق:إبراهيمالأبياري، 1963م، ص 253؛ عماد الدين إسماعيل ابن علي أبي الفدا: المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، تقديم: حسين مؤنس، ط1، دار المعارف- القاهرة، ج1، ص 134-135.

نسب هلال بن عامر[4]، لنسبتهم هذه لا بد أن يكون له مستمد يعتمد عليه ذلك لأن القوم توارثوا نسبهم كابر عن كابر، والعرب معرفون بتعصبهم لنسبهم[5].

إذن فنسب بني هلال يرجع إلى عامر بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[6].

وقد استنتجت أثناء تتبع لسيرة ابن هشام في غزوة حنين سنة(8هـ/629م)[7]ما نصه:" ... ولما سمعت هوزان برسول الله ﷺ وما فتح عليه من مكة جمعها مالك بن عوف النصري، فاجتمع إليه مع هوزان ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال وهم قليل، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء..."، وهم من صلب إسماعيل[8] ، وتسمى بالعرب العدنانية، هذا دليل على انتساب هؤلاء إلى هذه القبيلة. وهذا ما ذهب إليه ابن حزم في جمهرة أنساب العرب.[9]

---

[4] – ويذكر الامام ابن حجر الهيتمي، أن بنو عامر بن صعصعة يجتمعون مع الرسول اللهﷺ في مضر بن نزار، مرّ أنه ﷺ سئل عنهم فقال: ((جمل أزهر يأكل من أطراف الشجر)).وفي حديث حسن: أتينا النبيﷺ وهو في قبة له حمراء، فقال: من أنتم؟ فقلنا: من بني عامر.فقال: مرحبا، وفي رواية: ((مركبا بكم أنتم)).وفي رواية: ((أنا منكم)).راجع: الحافظ ابن حجر الهيتمي: مبلغ الأرب في فخر العرب، علق عليه وخرج أحاديثه، يسرى عبد الغني عبد الله، ط1، 1410هـ/1990م، دار الكتب العلمية–بيروت، ص85.

[5] – عبد الحميد خالدي: الوجود السليمي في الجزائر، ط1، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 13.

[6] – سعد أبو يوسف الحوتي: أنساب القبائل العربية، ط1، مطبعة العرام–الاسكندرية، 2002م، ص 430.

[7] – ابن عبد البر الحافظ يوسف بن عبد البر النمري: الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق : شوقي ضيف، دار المعارف– القاهرة، 1403هـ/ 1991م، ص 223–224؛ أبي الفدا: : المختصر في أخبار البشر،ج1، ص 182.

[8] – يدرج هؤلاء العرب ضمن العرب المستعربة وهي العرب المنحدرة من صلب اسماعيل، وتسمى بالعرب العدنانية. صفي الرحمان المبار كفوري: الرحيق المختوم–بحث في السيرة النبوية–المكتبة العصرية للطباعة والنشر–صيدا– ص 238؛ بيروت، 1419هـ/1999م، ص10؛ أبي الفدا: المختصر في أخبار البشر،ج1، ص 133.

[9] – أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري:السيرة النبوية، تحقيق: محمد عفيف الزعبي، مكتبة النهضة الجزائرية للنشر والتوزيع–الجزائر، 1396هـ/ 1976م، صفي الرحمان المبار كفوري،نفسه ،ص 380–381؛أبي محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بورفنسال، دار المعارف بمصر،1368هـ/ 1948م، ج1، ص 262–263؛ بن رسول بن يوسف عمر الأشرف: طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق: ك.و. سترستين،دار صادر للنشر والتوزيع– بيروت،1412هـ/ 1992م،ص 16؛ أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان،تحقيق: ابراهيم الأبياري، دار الكتب الاسلامية، دار الكتاب المصري–القاهرة، دار الكتاب البناني–بيروت،ط2، 1402هـ/ 1982م، ص 110–111.

ب- موطنهم:

يرجع المؤرخون أن مواطن بني هلال هي بلاد الحجاز[10] وبعض تخوم نجد[11]- حيث كان الهلاليون في جبل غزوان قريبا من الطائف، بينما كان بنو سليم مما يلي المدينة- في قبائل بدوية رعوية، تنسب إلى عرب الشمال العدنانية[12]، التي تعيش عيشة فقيرة مضطربة، وتضطرها في بعض الأحيان إلى احتراف الغارة على الجيران، أو قطع السبيل حتى على القوافل الحجاج، وعلى مكة أثناء موسم الحج[13].

كما سكن بنو هلال غرب واحة تربة، ويمتد نحو الشرق مارا بتربة إلى الأراضي المرتفعة جنوب طريق مكة أو بعض المناطق كبرك الغماد[14] على ساحل البحر الأحمر.[15]

ج - دخولهم في الإسلام:

عندما ظهرت الدعوة الإسلامية، دعا رسول الله ﷺ القبائل في مواسم الحج إلى الله، وأخبرهم أنه نبي مرسل وسألهم أن يصدقوه فيما هو خير لهم والنجاة من النار.

---

[10] - الحجاز بالكسر، وآخره زاي، والحجاز جبل متد حال بين الغور غور تهامة ونجد فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما، وهو أعظم جبال العرب وأذكرها.راجع: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، دار صادر-بيروت، 1397ه/1977م، مج2، ص 219-220.

[11] - ابن خلدون: العبر ،ج6، ص 18.

[12] - عبد الحميد زغلول: تاريخ المغرب العربي، دار المعارف- الاسكندرية، 1990م، ج3، ص 438.

[13] - يذكر ابن خلدون كان طوافهم أثناء رحلة الشتاء والصيف بأطراف العراق والشام واغارتهم على الضواحي وافساد السابلة والقطع على الرفاق-التجار- مع الإشارة إلى إغارة بنو سليم على الحجاج أيام الموسم بمكة.راجع :ابن خلدون: العبر،ج6، ص 18.

[14] - برك الغماد: قال في المشارق برك الغماد: أكثر الرواية بفتح الباء، والغماد: بغين معجمة، يقال بكسرها وضمها، وميم مخففة، موضع في أقاصب هجر، واختلفو في مكانه، فقيل: هو موضع باليمن، وقيل: موضع وراء مكة **بخمس** ليال. ولعل الثاني هو الصواب حيث توجد مدينة باسم (الرك) التي تقع على طريق الساحل الغربي جنوب غرب المملكة العربية السعودية بتهامة عسير على شاطئ البحر الأحمر وعلى مسافة 130 كلم جنوب القنفذ، ويوجد بها مسجد أبي بكر الصديق ﷺ الذي بناه عند الهجرة إلى الحبشة.

[15] - عبد الحميد خالدي: المرجع السابق، ص 17.

ومن بين هذه القبائل التي دعاها النبيﷺ قبيلة عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له " بحيرة بن فراس" والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال رسول الله ﷺ: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء.فقال له: أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فاذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك فأبوا عليه، فلما رجع بنو عامر إلى شيخ لهم وحدثوه بما حدث بينهم وبين رسول اللهﷺ ، فقال لهم: يا بني عامر هل لها من تلاف والذي نفس فلان بيده ما تقولها اسماعلي قط، وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم[16].

كما وفد على رسول الله ﷺ وفد من بني عامر، فيهم عامر بن طفيل وأريد بن قيس وجبار بن سلمى، وكان هؤلاء الثلاث رؤساء القوم، وقد دبروا مؤامرة لقتل رسول الله ﷺ ، ...فقد قال قومه أي –بنو عامر– يا عامر أن الناس أسلموا فأسلم، ...ولكنه رفض ذلك. وبعد فشل مؤامرتهم لقتل رسول الله ﷺ، انتقم الله منهم من مات بالطاعون ومنهم من قتل.[17]

ويرجع بعض المؤرخين تأخر إسلام بني هلال إلى دخولهم مع قريش في فكرة الحمس[18]، في حين كما أشرت سابقا– أن قبيلة بني عامر وبطونها إلا القليل لم تشارك في غزوة حنين[19]– التي تحالفت بين هوزان وثقيفا وسعد بن أبي بكر ضد المسلمين، وكانت

---

[16] – ابن هشام : السيرة، ص 84–85؛

NordineMalki les tribusarabeset Berbers de l'Afrique du nordd'après la déscrcptiomgénérale de l'afrique de marmolactes du 3eme congers d'histoire et de la civilisation du magreboran. opu. Alger 1987 tome p.p.45-47.

[17] – ابن هشام: المصدر السابق، ص 280–281.

[18] – الحمس:لغة:حمس الشر اشتدّ .والحمس جمع الأحمس والحمس قريش زمن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس وهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان وبنو عامر بن صعصعة هؤلاء الحمس سموا حمسا لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا. قال وكانت الحمس سكان الحرم وكانوا لا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات انما يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم وصارت عامر من الحمس.حيث يضعون أيديهم في اناء من دم، ويتم عقد حلف.راجع: بن منظور ، ج6، ص 57؛ عبد الحميد خالدي: المرجع السابق، ص 19.

[19] – ابن هشام:المصدر السابق، ص 238؛ صفي الرحمان: المرجع السابق ،ص281–284؛ أبي الفدا: مختصر تاريخ البشر ، ج1، ص 134.

نتيجتها اندحار هوزان في هذه المعركة، واسلامها فيما بعد، وفي عام الوفود كان من بين القبائل التي أسلمت قبيلة بني هلال[20].

واللافت أن بطن بنو هلال هو البطن الأساسي لقبيلة بنو عامر إذا لم يرتدوا عن الاسلام بعد وفاة النبي ﷺ، والدليل على ذلك هو قدوم قرة بن هبيرة أحد وجهاء بني هلال إلى خالد بن الوليد إذ بعث إليهم هشام بن العاص بن وائل السهمي فلم يقتلوه وأظهروا الاسلام والآذان[21].

د-علاقتهم بالقرامطة:

تنسب القرامطة إلى زعيمها الأول حمدان ابن الأشعث المعروف بقرمط عربي الأصل وإليه نسبت الحركة وسمي أتباعه بالقرامطة[22]؛ظهرت ببلاد الجزيرة العربية على عهد الدولة العباسية الذي سرعان ما استمال إليه أعيان بني هلال وبني هلال وبني سليم ليكون منهم جيشا قويا ضيق به الخناق على الإسماعيلية بمصر وحاصر عاصمتهم القاهرة شهورا طوال، لكن العبيديين تمكنوا من هزم جيش القرامطة، ونتيجة لذلك قدمت على الخليفة العبيدي وفود من بني هلال يعلنون له البيعة والطاعة، فقبل بيعتهم وأمرهم بالرحيل من نجد كلها والقدوم لمصر للاستقرار بها، ثم أقطعهم الجانب البحري من النيل حتى باتت المناطق التي شغلتها تعرف بها، وأضحى ذكر الهلالي في اللسان المصري مرادفا للرجل القوي الشجاع المقدام. ويبدو أن الغاية من تشجيع الهجرة الهلالية إلى مصر كانت الرغبة في الاستعانة بهم في الحروب[23].

---

[20] – عبد الحميد خالدي: المرجع السابق، ص 30.

[21] – المرجع نفسه: ص 41.

[22] – بن الجوزي عبد الرحمن: القرامطة، تح: محمد الصباغ، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1981، ص44-45.

[23] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص18. ميكال يا ندي خوية: القرامطة (نشأتهم، دولتهم، وعلاقاتهم بالفاطميين)، ط1، تر: حسني زينه، دار ابن خلدون، بيروت، 1978، ص153-156.

استمر مكوث الهلاليين في مصر ردحا من الزمن حتى عهد الخليفة العبيدي المستنصر بالله (427-487هـ)[24] الذي خسرت فيه مصر سيطرتها على المغرب الأدنى الذي كان يحكمه بنو زيري باسم الخلافة العبيدية.

وهو ما يجعلنا نتساءل أكثر على المذهب الذي كان عليه بنو هلال وبني سليم بالمشرق، لا سيما وأن عبد الرحمن بن خلدون قد أشار أيضا إلى دخولهم بعد انقراض أمر القرامطة في دعوة الشيعة العبيدية[25].

فهل يمكن أن نعتبر هذا التحول من طرف إلى آخر بأن ولاء بني هلال وبني سليم ودخولهم في طاعة القرامطة ثم العبيديين، لا يعبر عن مذهبيهم الديني بقدر ما يعبر عن املاءات الواقع السياسي والعسكري للمشرق آنذاك؟

ومع ذلك فإنه وليس من اليسير أن نبرر بسهولة انتقالهم من مذهب إلى آخر، وذلك بمجرد ربط الأمر بالظروف السياسية والعسكرية، لأن سرعة التحول والانتقال من مذهب إلى آخر يعبر أيضا على ضعف الوازع الديني عندهم وبالتالي يكون ابن خلدون محقا في وصفه لهم بأن الوازع مفقود عندهم منذ كانوا[26].

---

[24] – ولي أبو تميم معد المتلقب بالمستنصر سنة 427هـ وعمره يومئذ سبعة سنين، وقضى الإمام الاسماعيلي الثامن في دور الظهور كل حياته محجورا عليه ليس له أمر ولا كلمة...عرفت الحياة الاقتصادية أثناء حكمه الغلاء والقحط إلى حد تجاوز الوصف، حتى أنه جلا من مصر خلق كثير لما حصل بها من الغلاء الزائد عن الحد، والجوع الذي لم يعهد مثله في الدنيا، وأكل بعضهم بعضا. وظهروا على بعض الطباخين أنه ذبح عدة من الصبيان والنساء وأكل لحومهم وباعها بعد أن طبخها، وأكلت الدواب بأسرها، فلم يبقى لصاحب مصر-المستنصر- سوى ثلاثة أفراس بعد أن كانت عشرة آلاف ما بين فرس وجمل ودابة، وبيع الكلب بخمسة دنانير والسنور بثلاثة دنانير، فأصبح الناس فلم يروا إلا عظامهم. ويقولون أنه مات في هذا الغلاء والقحط أكثر أهل الإقليم، أو النصف. ومات المستنصر سنة 487هـ. المقريزي: الخطط، ص355. النجوم الزاهرة، ج5، ص23. النجوم الزاهرة، ج5، ص15، 17، 17.إحسان إلهي ظهير: الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، (د.ت)، ص153-157.

[25] – مصطفى بن عريب: مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق (من القرن الرابع الهجري إلى سقوط دولة الموحدين 668هـ/1269م، أطروحة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2016-2017م، ص112.

[26] – نفسه، ص112.

وفي نفس السياق نجد ألفرد بل يصف إسلام بني هلال بالسطحي وبشدة تعلقهم بالحياة المادية عند دخولهم بلاد المغرب[27]، فلم تكن درجة تقواهم بشديدة عكس جيل الفتح[28].

[27]– ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ط3، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م، ص83.

[28] – نفسه، ص78–79.

2- أسباب هجرة القبائل الهلالية من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب الإسلامي:

أ- السياسية:

إن تهميش القبائل العربية في مراكز الخلافة والسلطة ألجأها إلى الأطراف من البلاد العربية فلجأت إلى الصحراء وتوزعت بين الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة والقريبة منها، طلبا للرزق وبعدا عن الصراع من أجل السلطة مع الذين أصبحت السلطة بين أيديهم.

لأن طبيعة الصراع لا تختفي وإنما تتجه اتجاها آخر، فيصارع بعضها من أجل السيطرة الشخصية ومن أجل السلب والنهب وفرض العنف والقمع، وربما تعويضا عما فقدته من سلطتها القبلية بعد تكوين الدولة.

وإذا كانت بعض هذه القبائل المهمشة قد لجأت إلى بادية الشام والعراق والحجاز، فان بعضها هاجرت إلى مصر وبرقة، لتجد مستقرا جديدا لها يمكنها من الوجود والنفوذ والعيش وفرض نفسها بالقوة، فهذه البلاد رغم تبعيتها السياسية للدولة، كان الولاة فيها عربا، وكانت للعرب سابقة إذ ترسب فيها الفاتحون من جيوش الفتح ومن المهاجرين الذين وفدوا على هذه البلاد أثناء الفتح.

أصبحت هذه البلاد مطمحا لكل ذي سلطة، ولو كانت غير رسمية، ولكل ذي طموح، ولو كان من نوع طموح قبائل دفع بها التهميش وفقر المنتجع إلى التجول في الآفاق للغزو والاغارة والسلب والنهب[29].

وأضرت سيطرة الدولة على طموحهم بالسيطرة على المناطق المنتجة من البلاد العربية، الشام على عهد الأمويين، والعراق على عهد العباسيين، ثم ما دخل تحت هاتين

[29] -Georges labrica la nationalismed'ibmkhaldoin,extraix de la muquadima, untrepédagagipue, Aapré bin, hachette, Alger, 1965, p.185 .

الدولتين من بلاد غنية ومنتجة، فلم يبق إلا البعد إلى جهات يصعب تحكم الدولة واقرار الأمن والسلطة فيها.

بالإضافة إلى سيطرة الدولتين، فقد تجلى موقف الفاطميين عندما قاوموا القرامطة في عمان والبحرين وكان بنو هلال يشايعون هؤلاء القرامطة، رأى الفاطميون أن يتخلصوا منهم ففتحوا أمامهم أبواب جنوب مصر الصعيد، واقطعوهم الأراضي، ولمن روح القبلية والرحلة فيهم لم تتخل عنهم فعبروا شرقي النيل إلى غربه ووصل فريق منهم إلى برقة[30] .

ما يزال العامل السياسي يلعب دوره، فبعد رحيل الفاطميين من بلاد المغرب وتركوها إلى بني زيري، وإذا كان من طبيعة الهلاليين وبني سليم التمرد والفوضى والسلب والنهب، فقد كان من الأوفق سياسيا أن يرمي بهم الفاطميون من مملكتهم إلى مملكة خصومهم بني زيري، بعد ما أعلن المعز بن باديس القطيعة للخليفة العبيدي المستنصر بالله سنة 443هـ[31]، والدعاء للخليفة العباسي القائم بأمر الله، وأن اختلفت الكتب الاخبارية في سنة القطيعة حيث يرى ابن خلدون أنها سنة (440هـ/1048م)، حيث أحرق المعز اسم الخليفة وأحرق اسمه من الطرز والسكة[32].

إلا أن المستنصر بالله الفاطمي كتب إلى المعز بن باديس يرغبه ويرهبه، ويقول في أحد رسائله:" هلا اقتفيت آثار من سلف من أبائك في الطاعة والولاء." فلم يذعن المعز بن

---

[30] – عبد الكريم غلاب: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي،ط1،دار الغرب الاسلامي للنشر–بيروت، 2005م، ص 181–182.

[31] – جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق : محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية للنشر–بيروت، 1992م، ج5، ص 52؛ لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث، ص 71–72.

[32] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص 211.

باديس لوعيد الخليفة المستنصر بالله، ولم يرهبه تهديد المستنصر بارسال الجيوش لتأديبه. فكتب المعز إليه:" إن أبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن يمكله أسلافك".[33]

واهتدى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله للأنتقام من المعز بإيعاز من وزيره اليازوري[34] بعد استنفاذ كل السبل وقطع جميع قنوات الاتصال، وهي إرسال القبائل العربية من معاقلها بالصعيد باتجاه غرب، فلما تم له ذلك وصل عامتهم ببعير ودينار لكل فرد[35]، وقال الخليفة في رسالة للمعز بن باديس:" أما بعد فقد أرسلنا إليكم خيولا فحولا، وحملنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا".[36]

وبهذا أراد السلطان المستنصر تقويض سلطان المعز بواسطة هذه القبائل، وقد اتفق معهم على أن يذهبوا جماعات وأفراد إلى إفريقية.

فتوافدوا على المعز بن باديس الذي حاول إقناعهم بالدخول في خدمته وضمهم إلى جيشه، لكن مقدمهم مؤنس بن يحيى الذي أجابهم لن يستطيعوا أن يكونوا في جيش المعز – فعمل المعز على مهادنتهم وصاهر منهم ثلاثة من بناته– لقد جاءوا للتمتع بالسلطة لا ليكونا في خدمة الغير، وهذا ما يوضحه قول المستنصر لهم:" قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق، فلا تفتقرون".

---

[33] – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري:نهاية الأرب في فنون الأدب، ، تحقيق: عبد المجيد ترحيني ، ط1 دار الكتب العلمية للنشر–بيروت، 1424هـ/2004م،ج24، ص 116؛ الهام حسين دحروج: مدينة قابس من الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية، اشراف: محمد بركات البيلي، كلية الآداب– القاهرة، 2000م، ص 100.

[34] – اليازوري: محمد الحسن اليازوري تولى اوزارة 442هـ، ولقب بالوزير الأجل المكين، سيد الوزراء، وتاج الأمراء قاضي القضاة، وداعي الدعاة، كان من أهل الزراعة في الشام.راجع: النويري:نهاية الأرب، ج24،ص 116.

[35] – عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الوسيط، مؤسسة الشباب الجامعي للنشر، 2008م، ص 581.

[36] – ذكر ابن خلدون أنهم لما أجازوا النيل إلى برقة، ونزلوا بها وافتتحوا أمصارها واستبحوها وكتبوا لأخوانهم شرقي النيل يرغبونهم في البلاد، فأجازوا إليهم بعد أن أعطوا لكل رأس دينارين، فأخذ منهم اليازوري أضعاف ما أخذوه، وتقارعوا على البلاد.راجع:ابن خلدون،العبر، ج6، ص 20؛ النويري:نهاية الأرب،ج24،ص 47؛ الهام دحروج:المرجع نفسه، ص 54.

فتتابعت القبائل الكثيرة الوافدة إلى المغرب مثل سليم وهلال ورياح والأثبج، فلما دخلوا بأرض برقة وما ولاها وجدوا بلاد كثيرة المرعى، خالية من الأهل لأن زناتة أهلها فأبادهم المعز[37].

وكان لعلم العنيف أثر في ضعف ونهاية دولة بني زيري، ولعل الفاطميين كانوا سعداء فشفوا غليلهم من خصومهم ووارثي دولتهم في إفريقية.

ب- الأسباب الاقتصادية:

أما عن الأوضاع الاقتصادية في مصر في هذه الفترة، فيذكر ابن الأثير(ت630هـ/1232م) في الكامل في حوادث (440هـ/1048م)،أنه كان هناك الغلاء والوباء عاما في البلاد جميعها بمكة والعراق والموصل والجزيرة والشام ومصر وغيرها من البلاد[38]، وفي هذه الأثناء استمر تقهقر الدولة الفاطمية والمتمثل في المجاعات الفظيعة والنزاعات الدامية بين المرتزقة الأتراك والمغاربة والسود[39].

في حين عرفت بلاد المغرب بغناها وكثرة انتاجها وطيب هواءها، فهي ترضي طموح قوم أضناهم الفقر والعوز.خاصة بعد أزمة الحنطة (415هـ/ 1023م)، وعاد منسوب النيل إلى التناقص في سنة (442هـ/1050م)، وأصبحت بأسوأ أزمة اقتصادية مرت بها في العصور الوسطى، فارتفعت الأسعار وتزايد الغلاء وأعقبه الوباء، حتى خلت الأراضي من الزرع والضرع وتفشى الجوع لعدم توفر الأقوات[40].

---

[37] – الهام دحروج:المرجع السابق، ص 54.

[38] – علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الجزري ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق،ط1 دار الكتب العلمية للنشر– بيروت، 1407هـ/1978م، ج8، ص 286.

[39] – الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج1، ص 212.

[40] – محمد سهيل طقوش: تاريخ الفاطميين غي شمالي أفريقية ومصر وبلاد الشام، ط1، دار النفائس للنشر–بيروت 2001م، ص 331.

ومما يؤكد أهمية العامل الاقتصادي في الهجرة الهلالية هذا النص التاريخي على لسان الوزير الفاطمي والذي لم تستغله الدراسات في تحليل عوامل الهجرة وهو:" قد أعطيتكم المغرب ملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون "وعبارة لا تفتقرون"[41]، تدل على تدهور الوضع الاقتصادي لبني هلال في صعيد مصر.

وإذا سلمنا بالوضع الاقتصادي كعامل أساسي أكثر منه سياسي وراء الهجرة الهلالية، تتبرر الوسائل والأساليب التي انتهجها هؤلاء للسيطرة على بلاد المغرب من جهة، ومن جهة أخرى تلغى عنهم صفة الهمجية، و تنطبق على تصرفاتهم القول الشهير " الغاية تبرر الوسيلة".[42]

إذ يذكر المقريزي في تأليفه أنه في سنة (426هـ/1035م)، كثر الفأر بأراضي مصر وأكل زروعا كثيرة وكثر الوباء، وفي سنة (445هـ/1053م) قصر مد النيل ونزع السعر ووقع الوباء.[43]

وفي سنة (429هـ/1030م) بلغ ارتفاع النيل 15,20ذراعا، وهو انحدار كبير لم تصل المياه إلى أقل من مستواه إلى آخر القرن،كما انعكس هذا الوضع سلبا على وزن الدينار الذهبي الذي بلغ أدناه سنة (429هـ/1030م).

ومما لاشك فيه أن الجوع دفع بهذه القبائل إلى الهجرة نحو بلاد المغرب قبل سنوات الأربعين من القرن الخامس الهجري، ويبدو أن نسقها كان سريعا وحجمها كبيرا إلى حد أن الجموع الأولى بلغت جهة طرابلس.

---

[41]– ابن خلدون : العبر، ج6، ص 19.

[42] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص 20.

[43] – تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء(د.ت.)،ج2، ص 106،85.

ومهما كانت أهمية العوامل الاقتصادية، فان الدولة الفاطمية حاولت الاستفادة من هذه الهجرة وتأطيرها، فقد خضع انتشار القبائل إلى خطة مسبقة، منحت بموجبها البلاد اقطاعات للقبائل.

3- أوضاع المغرب الإسلامي قبيل الهجرة الهلالية

أ- الأوضاع السياسية والعسكرية في بلاد المغرب الإسلامي:

برحيل الخليفة المعز لدين الله[44] إلىمصر سنة (362هـ/973م)، وتنصيب أمير بربري يمثله في البلاد التي تركها، تصل الأزمة العبيدية إلى الانفكاك وتقترب من الانقلاب الذي عجل بالكارثة ويدوم هذا الفصل الأخير للمأساة ثلاثة أرباع من القرن يشهد في إفريقية دولة للقاهرة ألا وهي " مملكة بني زيري[45]" وحكام هذه المملكة من الصنهاجيين، ويعتبر ابن باديس[46](386-407هـ/ 996-1016م) من بين هؤلاء الحكام الذي خلع طاعة العبيديين وكان سببا في هجرة العرب الرحل إلى إفريقية[47].

---

[44] – هو معد بن اسماعيل بن محمد بن عبيد الله الملقب بالمعز لدين الله الفاطمي: هو الخليفة الرابع، تولى الحكم بعد وفاة أبيه القائم 334هـ، غزا المعز بني أمية بالأندلس وغزا بلد الروم.راجع: النعمان بن محمد قس القاضي: افتتاح الدعوة وبداية الدولة، تحقيق: فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للتوزيع-تونس، 1986 ص 300-301.

[45] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص 205؛ ويرجع في سبب الرحيل على حد قول المعز لدين الله من: " إنه لم يقدم إلى مصر لزيادة في ملك أو استكثار الرجال، إنما رغبة في الجهاد ونصرة المسلمين".غير أن الحقيقة ليست كذلك فالحروب التي خاضتها الدولة العبيدية في بلاد المغرب مثل حرب صاحب الحمار التي أرهقتها، هذا من جهة ومن جهة أخرى تجذر المذهب المالكي وعدم تقبل التشيع في المجتمع المغربي، ودعم الخلافة الأموية في الأندلس للقبائل الزناتية ضد العبيدين، إضافة إلى سيطرت هاته القبائل على طرق القوافل التجارية (الذهب والرقيق)، مما سبب أزمة اقتصادية حادة؛ وأخذ الصبغة الشرعية ولا يكون ذلك إلا بتملك الحجاز.

[46] – هو أبي تميم شرف الدولة رابع ملوك دولة بني زيري الصنهاجية التي حكمت افريقية، من سنة 362هـ/972م إلى سنة 543هـ/ 1148م، ولم تكن مدة حكمه تمثل أوج ازدهار هذه الدولة كما ذهب الهادي روجي ادريس، فإذا ما سلمنا بوجود فترة تمثل قمة هذا الازدهار فانه ينبغي أن نجعلها في زمن متقدم، قبل نزول الطاعون بالبلاد وحدوث المجاعة في سنة 395هـ./1004-1005م، وقد كان سببا في هلاك خلق كثير من أهالي البلاد، ومنذ ذلك التاريخ، وطوال عهد حكم المعزّ، توالت المصائب والكوارث على أفريقية بدون هوادة، كاشفة عن نقائص نظام اقتصادي غلب عليه الاضطراب وأنهكه الاجهاد.وبقي المعز يمثل في تاريخ إفريقية الرجل الذي رد الاعتبار إلى المذهب المالكي القويم وأقام صرحه من جديد بهذه الربوع، مما أدى مباشرة إلى حصول كارثة زحف بني هلال على البلاد.مات أبوه في 30ذي القعدة سنة 406هـ/1016م، أدى إلى تكريس تقسيم مملكة بني زيري نهائيا لصالح فرع الحمادين.وكانألمير الشاب الذي لم يكن قد بلغ بعد التاسعة من عمره عند موت أبيه يقيم بالمهدية، وتم تنصيبه يوم 21 من شهر ذي الحجة سنة 406هـ/31ماي سنة 1016م، بدون حصول منازعة.ويجمع الرواة على اتصافه بذكاء حاد وبثقافة جيدة لا يمكن أن يكون قد اكتسبها إلا فيما بعد.راجع:لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق

كانت القبائل الأفريقية البربرية الصنهاجية صاحبة الأمر والنهي قد أغرقت في الترف و نعيم الحياة المرفهة والحضارة، وفقدت رواجها العسكري والقتالي، واستعانت بالعبيد البدوي الميالي إلى القوة[48].

أدت الصراعات السياسية داخل البيت الصنهاجي إلى افتراق صنهاجة إلى دولتين، دولة المنصور بن بلكين أصحاب القيروان ودولة بني حماد بن بلكين أصحاب القلعة، وتعتبر سنة (432هـ/1040م) هي سنة هذا الانشقاق داخل البيت الصنهاجي[49].

بالإضافة إلى خروج المقاطعات الطرفية عن السلطة المركز، مثل جهة طرابلس والحضنة والجريد، والصراع الصنهاجي على المحور الأموي الزناتي[50].

ب- الأوضاع الاقتصادية:

لقد عبر ابن خلدون(ت808هـ/1405م) عن الازدهار الاقتصادي للمملكة المعز بن باديس (406-454هـ/ 1016-1062م)بافريقية بقوله:" ... وكان أضخم ملك عرف للبربر بافريقية، وأترفه وأبذخه"[51]. لكن امتداد هذا الازدهار الاقتصادي والحضاري الذي ظهر مع الأغالبة والذي أوقف نهضتها الاستغلال الضريبي للفاطميين، وحرب صاحب الحمار ثم استعادت قوتها بعودة السلام وأعطت أحسن ثمارها وأرقاها وآخرها.

وتعليق: أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب- الدار البيضاء، 1964م، القسم الثالث، ص 73؛ العربي عبد الرزاق: دائرة المعارف التونسية، بيت الحكمة قرطاج- تونس، 1994، الكراس4، ص 66-67.

[47] – جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل،مراجعة: مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف للنشر والتوزيع- بالإسكندرية ، 1991، ص 180-181.

[48] – عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة المغرب العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، ج1، ص 172.

[49] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص 210.

[50] – محمد حسن: المدينة والبادية، ج1، ص 31.

[51] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص 210.

ويذكر البكري في النصف الثاني من القرن 5هـ/11مايضاحات كافية عن موارد افريقية من الزراعة والصناعة والتجارة.يقول:" كانت بلاد البربر الشرقية منتجة للحنطة والزيتون بكثرة متزايدة ، ويضيف أن أفريقية بلد غني ببساتين الفواكه التي سيخربها الغزو الهلالي[52].

والى جانب عوامل الازدهار الاقتصادي والحضاري كانت هناك عوامل معوقة من الكوارث الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية أذكر منها:

- تراجع قيمة الدينار والدرهم عند الزيرين، إذ أضاع الدينار الجديد نسبة كبيرة من قيمته والدرهم ما نجم عنه ارتفاع الأسعار وازدياد الأزمة الاجتماعية[53].
- أن الحملات الصنهاجية على واحات الجنوب لغرض السيطرة على التجارة الصحراوية (تجارة الذهب والرقيق) قد فلت في عضد الزناتيين، وعادة ما تزامنت مع فترات الأزمة الاقتصادية، فحسب ابن عذارى نستعرض بعض هذه الأزمات الاقتصادية:

ففي سنة (395هـ/ 1004م) كانت بافريقية شدة عظيمة، انكشف فيها الستور، وهلك فيها الفقير وذهب مال الغني وغلت الأسعار وعدمت الأقوات وجلى أهل البادية إلى أوطانهم، وخلت أكثر المنازل فلم يبق لها وارث، ومع هذه الشدة وباء وطاعون، هلك فيها أكثر الناس من غني ومحتاج، وجاء خلق من أهل الحاضرة والبادية إلى جزيرة صقلية، وقيل أن أهل البادية أكلوا بعضهم البعض.

وفي نفس تلك السنة قام حماد بن بلوغين، عامل المعز بن باديس على أشير، بحملة واسعة على زناتة مغراوة وبني يفرن ببلاد الزاب.

---

[52] – جورج مارسيه:المرجع السابق، ص 206.

[53] – سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، منشأة المعارف للنشر والتوزيع– الاسكندرية،1990م، ج3، ص 435.

ففي سنة (409هـ/ 1018م) أي بعد ثلاث سنوات من استئصال شأفة الشيعة بالقيروان، ظهر الغلاء مصحوبا بالحروب الكثيرة، وأصبح قطاع الطرق ذارعين يمينا وشمالا وبواحات الجريد وأريغ[1].

وفي نفس تلك الحقبة، ومنذ سنة (408هـ/1017م)، دار الصراع بين زناتة وصنهاجة بناحية طرابلس، حتى أن عددا هاما من السكان أخلي من واحات الجنوب الشرقي وتحول إلى وادي أريغ ووارجلان[2].

وفي سنة (420هـ/1029م) بلغت زناتة مشارف القيروان[3]، وأعادت الكرة ثانية بعد خمس سنوات، وبقيت الحرب سجالا بين الطرفين إلى حدود سنة (428هـ / 1036م)، ولما ثم تمكن المعز من صد هذا الهجوم والتقدم إلى بلاد الزاب.

وإلى جانب المجاعة الشديدة التي شهدتها سنة (425هـ/ 1033م)، بسبب ضغط مجموعات البدو والزناتيين على بلاد المزاق قد أضر كثيرا بالزراعة والبنية الأساسية من منشآت مائية وغيرها، وهي عمليات لا تقل ضراوة عن سياسية الأرض المحروقة التي قامت بها الكاهنة الزناتية في هذه الجهة ومن بعدها أبو يزيد مخلد بن كيدادالليفرني الزناتي.[4]

---

[1] – أريغ:ولهذه القرية أرض متسعة وحروث ممتدة وفواكه وبساتين، ولها سوق صالحة، تقصد في يوم معلوم في كل جمعة.يباع بها ويشترى ويقضي منها حوائج، وبهذه القرية مياه كثيرة وعيون مطردة.راجع: الادريسي: المصدر السابق ، ص 107.

[2] – هي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة، فيخرجون منها التبر، ويضربون في بلادهم باسم بلدهم، وهم وهبية اباضية نكار خوارج في دين الاسلام.راجع:الادريسي:المصدر نفسه، ص 160.

[3] – القيروان: لغة: هي معظم المعسكر والقافلة من الجماعة، وقيل أنه فارسيّ معّرب، أصله من كلمة كاروان بمعنى القافلة. وهو القروان تطابق مع المعنى آخر. وهو الظهر وهو ما تناسب بدوره مع موضع المدينة الواقع في سهل فيضي ، على مرتفع صغير. محمد حسن: الجغرافيا التاريخية لافريقية – من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ/ 6-15م فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات– ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر وللتوزيع–بيروت، 2004م، ص 68.

[4] – وتزعم الثورة أبو يزيد الملقب بصاحب الحمار، وهو زناتي من الجريد، ولد حوالي سنة 271هـ/ 885م بالسودان، حيث حيث كان أبوه يتعاطى التجارة، وكان هذا الأعرج الحقير ذا مزاج عجيب كأنه فطر على الشغب فتمكن بفضل دعايته

وكانت سنة 430هـ/ 1038م، كثيرة الخصب بافريقية، لكن جهة طرابلس عرفت آنذاك هول الجوع والتشرد، في الجزر المتوسطية والواحات، حتى أن هذه الكارثة التي سميت " بسنة قراورا" ظلت واسعة في المخيال الشعبي، وأضحت مرجعية تاريخية، وفيها استولى هاجس الخوف لاستيلاء اللصوص على الطرقات وكثرة الغارات، وخراب العمران كما برزت مسحة من التشاؤم لدى علماء العصر الذين أكثروا من ذم أهل هذا الزمان[1].

المحمومة من اثارة المغرب وجعل الدولة الفاطمية على قاب قوسين أو أدنى من السقوط. وقد انتسب إلى النكارة وهم أشد خوارج المغرب تقشفا وتطرفا، وقد وصفه القاضي النعمان أنه الدجال الذي تنبأ به القائم بأمر الله، فخرج من جبل أوراس فيمن تبعه فسار يطوي البلاد ويزيد إليه أهل الفساد والعدوان، حتى أخذ مدينة القيروان، وقتل خليل بن اسحاق وكان بها في عسكر، ثم حل على المهدية وانتهى إلى بابها ووقف ساعة وقد أغلق الباب دونه، ثم انهزم أصحابه، وهذه الساعة التي كان المهدي يذكرها ويذكر أنه إنما ابتنى المهدية من أجلها، وحاصر المهدية ومن حولها، وكان الأولياء من كتامة ومن غيرهم يقاتلونه فانتهى إلى القيروان .راجع: النعمان القاضي: افتتاح الدعوة، ص 323-33 ؛ شارل أندري جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية- تونس، الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الاسلامي إلى سنة 1830م، ط2، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر- تونس، 1398ه/ 1978م، ج2، ص 82-83.

[1] - ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، تحقيق: ج.س.كولانولبفنيبروفنسال، دار الثقافة للنشر- بيروت، 1983م، ج1، ص 275-278؛ محمد حسن:المدينة والبادية، ج1، ص 32-33.

ج – الأوضاع الاجتماعية والفكرية:

اشتد الصراع المذهبي بين أهل السنة و الشيعة الروافض بعد قيام الدولة الفاطمية بأفريقية[1] والمغرب سنة (296–362هـ/909–973م)، بميل هؤلاء إلى حمل الناس على التشيع جبرا واضطهادهم على ذلك اضطهادا عنيفا[2].

ولما انتقل الفاطميون إلى مصر سنة (362هـ/973م) خلفوا بني زيري الصنهاجين وساروا على نهجهم من الدعوة إلى التشيع، ومحاربة أهل السنة واضطهاد أعلامهم من رجال الدين طيلة النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وأول القرن الخامس.

ولما تولى المعز بن باديس الحكم أعلن القطيعة للدعوة الشيعية، حيث ذكر ابن الدباغ في معالم الايمان(605–696هـ/1208–1296م) من ترجمته لأبي حسن بن خلدون البلوي الفقيه الكبير المتوفى سنة (407هـ/1016م) أنه دخل إليه جماعة من المشارقة– شيعة– والشرطة مع عامل القيروان بعد صلاة العصر سنة (407هـ/1016م) فقتلوا أبا محمد الغرياني الفقيه وأصحابه، وجرحوه جراحات قاتلة وتوفي بداره أثر هذه الجراحات[3].

ويرجع سبب قتله أنه لما قدم المعز بن باديس القيروان بعد موت أبيه واستفتاح ولايته يوم الجمعة منتصف محرم عام (407هـ/1016م)، كان المعز منحرفا من المذاهب الرافضة ومنتحلا للسنة، وأعلن لعن الرافضة ثم صار إلى قتل من وجد منهم حسب رواية ابن خلدون(ت808هـ/1405م) أنه كبا به فرسه ، فنادى مستغيثا بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فسمعته العامة، فثاروا لحينهم بالشيعة وقتلوهم أبرح قتل وقتل دعاة الرافضة[4]،ولجأت

---

[1] – راجع حول الصراع المذهبي بافريقية. عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بأفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، تقديم: علي الشابي، الدار التونسية للنشر– تونس، 1395هـ/ 1975م، ص 169 وما بعدها.

[2] – رابح بونار: المغرب العربي–تاريخه وثقافته–، ط3، دار الهدى للنشر–عين مليلة، 2000م، ص 171.

[3] –أبو يزيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ: معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: محمد ماضور، الدرا التونسية للنشر–تونس، مكتبة الخناجي للنشر–مصر، 1978م، ج3، 153–154.

[4] – ابن خلدون: العبر، ج6،ص 210–211.

الرافضة إلى مساجد المهدية فقتلوا فيها، وأثناء هيجان العامة جاءت متعلقة برجل اتهموه بالرافضة، فمروا به على شيخ من العامة، فسألهم عن تعلقهم به فقالوا نسير به إلى الشيخ أبي علي بن خلدون، ننظر ما يأمرنا به، فقال لهم الشيخ: لا اقتلوه الآن، فان كان رافضيا أصبتم وإن كان سنيا عجلتم بروحه إلى الجنة الآن.فرعب المعز منهم واراد كسر شوكتهم فدبر قتل زعيم أهل السنة وشيخ هذه الدعوة.[1]

كما خطب المعز بن باديس للخليفة العباسي القائم (422-467هـ/1031-1074م) على منبر جامع القيروان وأمر باتخاذ السواد شعار العباسيين، ونقش اسمه على السكة في الوجه الأول" ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه"[2].لا اله إلا الله وحده لا شريك له.محمد رسول الله." أما الوجه الثاني:" باسم الله ضرب بمدينة القيروان سنة إحدى وأربعين وأربعمائة.﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ونذيرا وداعيا إلى الله﴾"[3].

ويذكر ابن عذارى أن سبب قطع الدعوة العبيدية من الخطبة الجمعة بالقيروان وغيرها، لما رحل بنو عبيد إلى مصر، لم تزل ملوك صنهاجة يخطبون لهم بأفريقة، ويذكرون أسماءهم على المنابر، وتمادى الأمر على ذلك حتى قطع أهل القيروان صلاة الجمعة فرارا من دعاتهم، فكان بعضهم إذا بلغ إلى المسجد قال سرا:" اللهم أشهد، اللهم أشهد" ثم ينصرف فيصلي ظهرا أربعا، فتعطلت الجمعة دهرا، إلى أن رأى المعز بن باديس قطع دعوتهم، فكان بالقيروان لذلك سرور عظيم[4].

---

[1] – الدباغ: معالم الإيمان، ج3، ص 154-155.

[2] – لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث، ص 72-73؛ صالح بن قربة: المسكوكات المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، 1986م، ص 480.

[3] – حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ط14، دار الجيل للنشر-بيروت، مكتبة النهضة المصري-القاهرة، 1996م، ج4، ص 226.

[4] – ابن عذارى:البيان المغرب، ج1، ص 277.

4- دخولالقبائل الهلالية إلى بلاد المغرب الإسلامي:

تحدثت المصادر التاريخية عن الهجرة الهلالية،فوصفتها بالزحف، أو كالجراد،كارثة،غزوة، حلت ببلاد المغرب فأتت على الأخضر واليابس،وخربت العمران ولم تترك مجالا دون أن تكتسحه، فأجلت الناس عن أوطانهم،وألجأت البقية إلى معاقل الجبال أو الحل والترحال، وأوقعت بلاد المغرب في هوة سحيقة، لم يعرف المغرب مثلها قط أثناء العصور الوسطى[1].

ويذكر ابن خلدون(ت808هـ/1405م) لما أجازوا النيل إلى برقة ونزلوا بها واستباحوها، وتقارعوا على البلاد فحصل لسليم الشرق ولهلال الغرب وخربوا المدينة الحمراء وأجدابية واسمرا وسرت وسارت بطون هلال إلى أفريقية كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه حتى وصلوا أفريقية سنة (443هـ/1053م)[2].

وذكر روجي ادريس إن نهاية عهد المعز شهد كارثة سياسية واقتصادية لم يسبق لها مثيل وهي غزوة بني هلال[3].وعند وصولهم للأول قرية اعتقدوا أنها القيروان فأنزلوا بها الخراب والدمار[4]، و عن الجانب المدمر للهجرة الهلالية يذكر ابن خلدون:" ...أن أفريقية والمغرب لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة، وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين، قد لحق بها وعادت بسائطه خرابا كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمرانا."[5]

---

[1] – محمد حسن: المدينة والبادية، ج1، ص 27.

[2] – ابن خلدون : العبر، ج6، ص 14-15.

[3] – الهادي روجي: الدولة الصنهاجية، ج1، ص 245-246.

[4] – جورج مارسيه: المرجع السابق، ص 223.

[5] – مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب- في عصري الموحدين وبني مرين-، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، 1982م،ص 59،62.

وكذلك نستقي هذه المواقف من أدب المعاصرين للحدث من أمثال شعراء القيروان ومؤرخيها، وخاصة الحصري وابن الرشيق وابن شرف، فالصورة الشعرية التي فيها تحسّر على القيروان ووصف الهول والجلاء، وما جاء في ديوان ابن الرشيق:

أهـدت لهـا فتنـا كليـل مظلـم وزرادهـا كالنـاطح العيـدان
بمصـائب مـن فـادع وأشـاذب ممـن تجمـع مـن بنـي دهمـان
فتكـوا بأمـة محمـد أتـراهم أمنـوا عقـاب الله فـي رمضـان[1]

وصفت المصادر التاريخية مجريات الأحداث والمعارك التي جرت بعد دخول الهلاليين أفريقية، استعد المعز بن باديس وجهز جيوشه وعبيده، لكن الهزائم توالت عليه، ففي معركة يوم العين[2]، التحم القتال واشتدت الحرب وركزوا الطعنات في عيون جيش المعز، التي كانت قد تحصنت بالكرزاغندات[3] والمغافر[4]، وحصلت المصادمة في حيدران سنة (443هـ/ 1052م)، بالقرب من قابس شرق قرية المطوية شمال قابس[5]، وأفضت إلى انهزام رعاة الحضارة القيروانية التي دقت ساعة انقراضها فسلّم سكان البوادي الذين استولى

[1] – محمد حسن: المدينة والبادية، ج1، ص 28–29.

[2] – خرج المعز بن باديس في ثلاثين ألف فارس، وسار حتى انتهى إلى حيدران، وهو جبل على مسيرة ثلاثة أيام من القيروان، وكان عدد العرب ثلاثة آلاف فارس، فلما شاهدوا عساكر صنهاجة هالهم ذلك، فقال مؤنس بن يحيى المرداسي:" يا وجوه العرب ماهو يوم فرار"، فقالوا له:" أين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكازغندات والمعافر؟". فقال أمير منهم:" في أعينهم"، فسمي من ذلك اليوم ((أبا العينين))، كما فعل عبد الله بن سعد بن أبي سرح في حرب النوبة جنوب مصر، الأمر الذي أدى إلى اطلاق اسم ((يوم العين)) على تلك المعركة.راجع: النويري: نهاية الأرب، ج24، ص 119؛ أبي عبد الله بن محمد التجاني:رحلة التجاني، قدم لها:حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب،2005م،ص 54.

[3] – الكزاغندات: وهي عبارة عن أردية محشوة من القطن والخرير يتدرع بها في الحرب.راجع:النويري:نهاية الأرب ج24، ص 119.

[4] – المعافر: مفردها المعفر: وهو زرد نسيج من الدروع على قدر الرأس ويلبس تحت القلنسوة. راجع:المصدر نفسه ص 119.

[5] – الهام دحروج: المرجع السابق، ص 55.

عليه الفزع ولأراضيهم للنهب، والتجأوا إلى المدن وأمام تقاعس السلطة المركزية، تحولت أغلب تلك المدن إلى دويلات مستقلة، أو سقطت بين أيدي الهلاليين الذين تقاسموا البلاد فيما بينهم[1].

وذكر ابن خلدون في هذا الصدد :" واقتسمت العرب بلاد أفريقية سنة (446هـ/1054م)، وكان لزغبة طرابلس وما يليها، ولمرداس بن رياح باجة وما يليها، ثم اقتسموا البلاد ثانية فكان لهلال من تونس إلى المغرب وهم رياح وزغبة والمعقل وجشم وقرة والأثبج والخلط وسفيان"[2].

وفر المعز بنفسه وخاصته إلى القيروان ونهبت العرب جميع محله من المال والمتاع والذخيرة، إذ بلغ عدد القتلى ثلاثة آلاف وثلاثمائة ثم نزلوا بالقيروان،بعدما فر المعز بن باديس إلى المهدية لعجزه عن الدفاع عنها واستقبله هناك ابنه تميم إلى أن توفي بها.[3] وأكثروا فيها الفساد[4].

اضطرب أمر إفريقية وخرب عمرانها وفسدت سابلتها، وسوّم الرعايا بالخسف في النهب والعيث وحشد الناصر بن علناس صاحب القلعة لمظاهرتهم وجمع زناتة، وكان فيهم المعز بن زيري صاحب فاس من مغراوة، ونزلوا الأربس جميعا، ولقيتهم رياح وزغبة، ومكر المعز بن زيري المغراوي بالناصر وصنهاجة بدسيسة زعموا من تميم بن المعز بن باديس صاحب القيروان، فجر عليهم الهزيمة، واستباحت العرب وزناتة[5] خزائن الناصر ومضاربه،

---

[1] – الهادي روجي ادريس: الدولة الصنهاجية،ج1، ص 245–246.

[2] – ابن خلدون : العبر، ج6، ص 15.

[3] – الهام دحروج:المرجع السابق، ص 55.

[4] – وصف ابن بسام حالة القيروان آنذاك فقال:" وأحاط العرب بالقيروان يطؤون حريمها، ويستعرضون راجلها ومقيمها، حتى ماج بعضها في بعض، وتبرأت منها كل سماء وأرض.راجع: أبو الحسن علي بن بسام الشتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق: احسان عباس،ط1،دار الثقافة للنشر–بيروت، 1979م، مج1، ص 614.

[5] – رشيد بورويبة: الجزائر في التاريخ في العهد الاسلامي، ترجمة: محمد بلقراد،المؤسسة الوطنية للكتاب–الجزائر، 1984م، ص 207؛ لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ص 75.

وقتل أخوه القاسم ونجا إلى قسنطينة ولحقت رياح به، ثم لحق بالقلعة فنازلوها وخرّبوا جنابتها واحبطوا عروشها، ثم عاجوا على ما هناك من الأمصار، ثم طبنة والمسيلة فخربوها، وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف البعير[1].

فلم يكن بإمكان المعز بن باديس أن يتغلب على الثورات والانقلابات، ودفع ثمن هذه القطيعة، ورغم كفاءته لم يقدر قدرة العبيديين على اذايته، فقد أفضى به الأمر إلى المهدية مجردا من كل سلطة، وتوفي سنة (454هـ/1062م).فالتاريخ لا يظلمه فقد اعتبر من أكبر ملوك لمسلمين في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وبذلك انتهت الدولة بنهاية المعز[2].

وبعد أن عاثت القبائل الهلالية في القيروان، عيثا شديدا، ودوخت مملكة بني زيري بن مناد، وهذا بعد موت المعزّ بن باديس، انتقل تميم إلى المهدية وسار هؤلاء العرب حتى نزلوا على المنصور بن المنتصر، فصالحهم على أن يجعل لهم نصف غلة البلاد من تمرها وبرها وغير ذلك[3].

---

[1] – ابن خلدون: العبر، ج6،ص 27.

[2] – عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ج1، ص 392.

[3]–عبد الواحد بن علي المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، ط1، منشورات دار الكتب العلمية–بيروت، 1419هـ/ 1998م، ص 157.

5- توزيع القبائل الهلالية في مجالات المغرب الأوسط:

تعتبر الحرب التي جرتسنة 457هـ/1065م بين الناصر بن علناس الحمادي والجماعات الهلالية المعارضة؛ حيث خرج الناصر في عدد كثير من صنهاجة وزناتة وعديوالأثبج، فلقيتهم رياح وزغبة وسليم، فانهزم الناصر بن علناس، وقتل من أصحابه خلق كثير، ونهبت أمواله ومضاربه"[1] .

تركت هذه الهزيمة المغرب الأوسط مفتوحا أمام الجماعات الهلالية التي دخلت البلاد وتمكنت من السيطرة على عدة مناطق حيث زحفت الجماعات على عدة مناطق من الزاب[2].

أ- **الأثبج:** تعتبر إحدى القبائل الهلالية الأوفر عددا والأكثر بطونا، النازلة بالمثلث: قسنطينة[3]-الزاب[4]-الحضنة[5]،وانقسمت إلى مجموعات ثلاث كبرى: المشرق ودريد وكرفة،

---

[1] – ربط ابن خلدون سبب هزيمة الناصر بن علناس (454- 481هـ/1062- 1088م) في معركة سبيبة بدسيسة دبرها المعز بن باديس الذي خاف على دولته من الطموح العسكري للحماديين وتوسعاتهم لاسيما بعد التفكك الذي تعرضت له عقب انتكاسة حيدران (443هـ)، وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: « لما تغلب العرب على القيروان وأسلم المعز وتحول إلى المهدية اضطرمت إفريقية نارا واقتسمت العرب البلاد عمالات وامتنع كثير من البلاد على ملوك آل باديس مثل سوسة وصفاقس وقابس، وصارت صاغية أهل إفريقية إلى بني حماد ملوك القلعة، وانقطعت تونس عن ملك المعز ووفد مشيختها على الناصر بن علناس » .ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص27-28.

[2] – عبد الحميد الخالدي: المرجع السابق، ص170.

[3] – وهي مدينة عامرة وبها أسواق وتجار وأهلها مياسير ذوو أموال وأحوال واسعة ومعاملات للعرب، وتشارك في الحرث والادخار. والحنطة تقيم بها في مطاميرها مائة سنة لا تفسد.ومدينة قسنطينة على قطعة جبل منقطع مربع، فيه بعض الاستدارة، ولا يتوصل إليها من مكان إلا من جهة باب في غربيها، ليس بكثير السعة، وفيها قنطرة من أعجب البناءات، وقسنطينة من أحصن بلاد الله، وهي مطلة على فحوص متصلة. ولها مزراع الحنطة والشعير ممتدة في جميع جهاتها، ولها في داخل المدينة ومع سورها مسقى يسقون منه، ويتصرفون منه عند أوقات الحصار لها ممن طرقها.راجع : أبو عبد الله محمد بن محمد الادريسي: المغرب العربي-من كتاب نزهة المشتاق- تحقيق وترجمة: محمد حاج صادق، د.ط.1983م، ص 121-123.

[4]- وهي مدينة حسنة، كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير، وعليها سور من تراب، وأهلها أخلاط وبها صنائع وتجارات وأموال لأهلها متصرفة في ضروب من التجارات، والتمر بها كثير، وكذلك سائر الفواكه.راجع: الادريسي:المصدر السابق، ص 119.

[5] سنة 313هـ/925م، وجعل المُتولي لبنائهاعلي بن الأندلسي، 945 – بناها الحاكم العبيدي أبو القاسم بن عُبيد الله (ت334هـ/م) واستعمله بعد ذلك عليها، إلى أن هلك في فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد سنة 326هـ/937م، وبقي ابنه جعفر في المسيلة، وصار أميرا

ولئن لم تظهر بوادر الانقسام إبان حلولها بإفريقية ودخولها في نزاع مع صنهاجة، فإن الحرب أضحت سجالا بين دريد من ناحية والحلف المكون من قرة والمشرق(كرفة وعياض)، وفي أواسط القرن السادس الهجري/12م، وقد تعرضت آنذاك بعض فروعها من المشرق وهي عاصم ومقدم شأنها في ذلك قرة وجشم إلى النقل القسري في عهد الموحدين[1].

– **دريد:**كانت أشد القبائل بأسا عند دخول العرب لافريقية، يترأسها الحسن بن سرحان بن وبرة، واستطاعت السيطرة على المجال الأكثر خصوبة، والممتدة من عنابة إلى جنوب قسنطينة، ثم حاولت التقدم جنوبا إلى أراضي الزاب للانتجاع شتاءا، فصدها عن ذلك التحالف القائم بين كرفة وعياض وقرة[2].

ثم انقسمت دريد نتيجة الصراعات القبيلة إلى أولاد عطية وتوبة والتي انقسمت بدورها إلى رئاستين: وشاح ومبارك، وكلاهما تفرع إلى مجموعات عدة، الأولى تضم شجم وأولاد أحمد والثانية نجاح وعبد الله وراجح، وهو أمر مرتبط بالتطور السكاني والاقتصادي.

على الزاب كله.وهي عامرة في بسيط من الأرض ولها مزارع ممتدة أكثر مما يحتاج إليه، ولأهلها سوائم خيل وأغنام وأبقار وجنات وعيون وفواكه، ويسكنها من البربر بنو برزال.راجع: الادريسي: المصدر السابق، ص 108. ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب، ط1،تح: بشار عواد معروف ومحمود بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ج1، 1434ه/2013م، ص 227؛ عبد الرحمن ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، وضع حواشيه: خليل شحادة، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1421ه/2000م، ص51؛ رحلي صليحة: المسيلة وجهتها في العصر الوسيط–دراسة منوغرافية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1435ه/2014م، ص33–35.

[1] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص 30–31؛ محمد حسن:المدينة والبادية بافريقية في العهد الحفصي،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية–تونس، 1999م، ج1، ص 98–99.

[2]– وهي مدينة ليست بكبيرة ولا بصغيرة، ومقدار رقعتها كالأربس، وهي على نحر البحر، وكانت لها أسواق حسنة وتجارة مقصودة وأرباح موجودة، ولها أقاليم واسعة وأرض واسعة، تغلبت العرب عليها، وافتتحت بونة على يد أحد رجال الملك المعظم رجار في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وهي الآن في ضعف وقلة عمارة، وبها عامل من قبل الملك رجار من آل حماد.راجع: الادريسي: المصدر نفسه: ص 154.

ب- رياح:

كانت هذه القبيلة من أغز قبائل هلال وأكثرهم جمعا عند دخولهم أفريقية، وهم فيما ذكره الكلبي: رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، وكانت رياستهم حينئذ لموسى بن يحيى الصنبري من بطون مرداس بن رياح[1]، واستطاعت في الفترة (443هـ/ 1051م)، أن تستولي على المناطق الخصبة لناحية باجة[2].

وبعد أن تمكنت من دحر القبائل المنافسة نحو الغرب (الأثبج وزغبة) سنة (466هـ/1073م)، وعدي سنة 499هـ/1105م، انفردت برئاسة بني هلال خلال القرن 6هـ / 12م، نازلة بالسهول التلية الخصبة.وهو ما يفسر تنامي أعدادها، تحدثت إحدى الرسائل الموحدية عن اختلاف قبائلها وتعدد عشائرها واتساع أفخاذها وعمائرها[3].

لكنها لم تستطع أن تصمد طويلا أمام الآلة العسكرية الموحدية، وعجز الحلف البدوي المكون من رياح وعدي والأثبج بقيادة أمير المعلقة محرز بن زياد عن التصدي لعبد المؤمن بن علي في موقعة سطيف التي فتحت باب أفريقية أمام الموحدين سنة (547هـ/1153م)[4].

وشملت رياح على الذواودة وسويد وأشجع والنضر وكرفة حسب ما ذكره ليون الأفريقي[5]،كما يعتبر بنو مرداس أهم بطون رياح[6].

---

[1] – ابن خلدون،العبر،ج6، ص 43.

[2] – وهي مدينة حسنة صغيرة لها إقليم به شجر التين كثيرا جدا، ويعمل بها من التين شرائح على مثال الطوب، وبذلك تسمى، وتحمل منها كثير من الأقطار.راجع: الادريسي: نزهة، ص 59.؛ محمد حسن: المدينة والبادية، ج1، ص 105.

[3] – محمد حسن: المدينة والبادية، ج1، 105.

[4] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص 28؛ محمد حسن: المدينة والبادية، ج1، ص 105.

[5] – الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا،ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي- بيروت، 1983م، ج1، ص 49.

[6] – الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية،ج1، ص 250.

الفصل الثاني:

علاقة العرب الهلالية بالدولة الحمادية

أولا: السيطرة على المجال

ثانيا: علاقتهم بالسلطة من المواجهة إلى الاندماج

ثالثا: ممارسة الزراعة

رابعا: ممارسة التجارة

خامسا: علاقاتهم بالمجتمع

الفصل الثاني: علاقة العرب الهلالية بالدولة الحمادية

أولا: السيطرة على المجال

في الواقع دخل الهلاليون بلاد المغرب الإسلامي مندفعين من أجل بسط نفوذهم على الأراضي الرعوية باعتبار أنهم بدو يحتاجون إلى مراع، ومحدودية مساحة هاته المسارح تلزم الوافد طرد من سبقه إليها، فاضطر الأهالي القاطنين بالسهول إلى التراجع أمامهم، منها بالمغرب الأوسط، أين قاموا بتخريب القلعةوطبنة والمسيلة وأزعجوا ساكينها، وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن على حد تعبير ابن خلدون[1].

وحسب رواية المؤرخ نفسه كان لهم مع القبائل البربرية من صنهاجة وزناتة مواقف، يذكرها قائلا: "ولما غلبوا صنهاجة وزناتة اجتهدت زناتة في مدافعتهم بما كانوا أملك للبأس والنجدة بالبداوة فحاربوهم وزحفوا إليهم من افريقية والمغرب الأوسط، وجهز صاحب تلمسان من بني خزر قائده أبا سعد اليفرني فكانت بينهم وبينه حروب إلى قتلوه أن بنواحي الزاب، وتغلبوا على الضواحي في كلّ وجه. وعجزت زناتة عن مدافعتهمبافريقيةوالزاب، وصار الملتحم بينهم في الضواحي بجبل راشد ومصاب من بلاد المغرب الأوسط"[2].

ومن الواضح أن بني حماد عجزوا عن التصدي للجماعات الهلالية، واضطروا إلى التفاهم معهم عن طريق التحالف مع الأثبج والتنازل عن البوادي لفائدتهم[3] ، وربما سياسة الترويض التي اتبعها الحماديون كانت أفضل من سياسية أبناء عمومتهم بني زيري، وهذا ما جعل الأضرار التي ألحقت بالمغرب الأوسط أقل مما مس المغرب الأدنى، أما عن استغلال الحماديين للقبائل العربية من أجل رضخ العناصر المعارضة يشير ابن عذاري لأحداث سنة

---

[1] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص27. نوال بلمداني: نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4-5هـ/10-11م)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2013-2014م، ص123.

[2] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص27.

[3] – الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج1، ص289.

457هـ/1065م قائلا: "خرج الناصر بن حماد–في عدد كثير من صنهاجة وزناتة وعدي والأثبج، فلقيتهم رياح وزغبة وسليم، فانهزم الناصر، وقتل من أصحابه خلق كثير، ونهبت أمواله ومضاربه"[4] .

وكان من نتائجها أيضا حصار القلعة عاصمة الدولة الحمادية، وعاثت فسادا في طبنة والمسيلة، ثم لحقت بها قبائل أخرى كزغبة والأثبج وأحكموا بذلك سيطرتهم على القلعة وطبنة، فانعدم الأمن في الطرقات المؤدية إلى هذه المدن وساءت أحوال المزارعين اللذين خضعوا لتصرفات العرب الهلالية، وأصبحوا يقتسمون معهم غلالهم، فتدهورت أوضاع الدولة الحمادية اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، لأن هؤلاء على حد تعبير ابن خلدون(ت808هـ/1405م):" طبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس، وأن رزقهم فوق ظلال رماحهم، وليس عندهم في أخذ أموال الناس، حد ينتهون إليه، بل لكل امتدت أعينهم إلى مال أو ضياع أو معون انتهبوه، فإذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملك بطلب السياسية، في حفظ الأموال الناس وخرب العمران"[5].

كما اضطر بنو حماد إلى الاتفاق معهم[6]، ومصالحتهم على التنازل لهم على ملك الضواحي[7] وكذلك البوادي[8].

فأصبحت المنطقة الممتدة من قسنطينة إلى القل للعرب الهلالية[9] ، ومن بونة إلى دار ملول، التي بها حصن ينظر منها إلى مجالات العرب[10] ، إضافة إلى تحكم العرب الهلالية في

---

[4] – ربط ابن خلدون سبب هزيمة الناصر بن علناس (454– 481هـ/1062– 1088م) في معركة سبيبة بدسيسة دبرها المعز بن باديس الذي خاف على دولته من الطموح العسكري للحماديين وتوسعاتهم لاسيما بعد التفكك الذي تعرضت له عقب انتكاسة حيدران (443هـ)، وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: « لما تغلب العرب على القيروان وأسلم المعز وتحول إلى المهدية اضطرمت إفريقية نارا واقتسمت العرب البلاد عمالات وامتنع كثير من البلاد على ملوك آل باديس مثل سوسة وصفاقس وقابس، وصارت صاغية أهل إفريقية إلى بني حماد ملوك القلعة، وانقطعت تونس عن ملك المعز ووفد مشيختها على الناصر بن علناس » .ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص27–28.

[5]– ابن خلدون: العبر،ج6،ص 27؛ ابن خلدون: المقدمة،ط1، دار الفكر–بيروت، 1424هـ/ 2004م، ص 103.

[6]– الهادي روجي ادريس: المرجع السابق، ج1، ص289.

[7]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص42.

[8]– الهادي روجي ادريس: المرجع السابق، ج1، ص289.

الأراضي المحيطة لكل من بونة وميلة ومرسى الخزر وحصن باديس[11] ، وتغلبهم أيضا على الطريق بين القل وجيجل[12]، كما يبين ابن سعدي المغرب أنّه من حد قسنطينة إلى بجاية مجالات العرب الهلالية[13]، وما بين جبل أوراس إلى بونة أيضا في شمالي الصحراء جهة جبل وسلات وحول المسيلة كلها، أصبحت مجالات لبطون من عرب بني هلال[14]، وما بين تبسة وسطيف بادية يسكنها العرب الهلالية[15].

أما أهم البطون الهلالية التي استقرت ببلاد المغرب الأوسط، فقد كان لبطون الأثبج وهي الضحاك وعياض ومقدم والعاصم ولطيف ودريد وكرفة[16] ، الحضور الأقوى وذلك لاستخلاص بني حماد للأثبج دون قبائل بني هلال[17]، إضافة إلى قوتهم وتقدمهم على سائر قبائل بني هلال عند دخولهم المغرب[18] ، حيث كانت مواطنهم حيال جبال أوراس من شرقيه[19]، فنزلت عياض في جبال قلعة بني حماد[20] ، واستقرت كرفة بجبل أوراس مما يلي زاب تهودا[21] .

---

[9]– الادريسي: المصدر السابق، ص123. الهادي روجي ادريس: المرجع السابق، ج2، ص105.

[10]– مدينة كانت عامرة وفيها حصن مطل، فيه مرصد من البلد، ينظر منه إلى مجال العرب في بلادهم، وبين دار ملول ونقاوس ثلاث مراحل وبينها وبين جبل أوراس مرحلة وزائد، وكذلك من دار ملول إلى القلعة ثلاث مراحل. الادريسي: المصدر السابق، ص120.

[11]– نفسه، ص121.مصطفى بن عريب: مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق (من القرن الرابع الهجري إلى سقوط دولة الموحدين 668هـ/1269م، أطروحة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2016–2017م، ص98.

[12]– نفسه، ص125.

[13]– ابن سعيد: المصدر السابق، ص37. ابن خلدون: العبر، ج6، ص204.

[14]– ابن سعيد: المصدر السابق، ص37. دومينيك فاليري: المرجع السابق، ج1، ص190.

[15]– ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص13.مصطفى بن عريب: مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق، ص99.

[16]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص30.

[17]– نفسه، ج6، ص43. الهادي روجي ادريس: المرجع السابق، ج1، ص309.

[18]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص48.

[19]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص48.

[20]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص33.

[21]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص33–34.

أما دريد فإنّها انتشرت ما بين بلاد العناب إلى قسنطينة إلى طارف مصقلة وما يحاذيها من القفز[22] ، وكانت تجمع بطون الضحاك بالزاب[23].

وإضافة إلى الأثبج فقد دخلت بطون زغبة الهلالية على غرار أولاد حصين والسويد وبنو عامر وبني يزيد واستقرت هي الأخرى بالمغرب الأوسط[24]، ويحدد ابن خلدون مواطن زغبة بقبلة تلمسان، قرب بني يعلى أمرائها[25].

ولحق العمور[26]، بالأثبج وسكنوا بالضواحي وصارت مواطنهم ما بين جبل أوراس شرقا إلى جبل راشد ولكن كلّ ذلك من ناحية الحضنة والصحراء[27]، أي اتجاه قبائل العمور نحو المفاوز والقفار.

واستوطن الثعالبة وهم من بطون المعقل، بالمنطقة الممتدة من تيطري إلى المدية[28]، أما أرض بونة فكانت في حصة بطون بني سليم[29].

فقد كان بنو هلال متطلعين منذ خروجهم من صعيد مصر إلى الحصول على الغنائم والسيطرة على المجالات والمناطق الواسعة من البلاد[30] ، وربما هذا ما عناه ابن خلدون بقوله: "ولم يزل هذا دأب العرب حتّى غلبوا صنهاجة وزناتة على ضواحي افريقية والزاب"[31].

لذا يعتقد بعض الباحثين أنّه من دوافع بناء مدينة بجاية، تخوف صاحبها الناصر بن علناس من الأعراب، والذي حكم عليهم بأنهم كارثة لا تختلف عن بقية الكوارث الطبيعية[32].

---

[22]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص32.

[23]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص33.

[24]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص58–59، 68.

[25]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص55–56.

[26]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص34.

[27]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص34–35.

[28]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص84. الهادي روجي ادريس: المرجع السابق، ج2، ص95.

[29]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص94–95، دومينيك فاليري: المرجع السابق، ج1، ص195.

[30]– راضي دغفوس: المرجع السابق، ص208.

[31]– ابن خلدون: العبر، ج6، ص35. المقريزي: اتعاظ الحنفاء، ج2، ص218.

[32] – محمد حسن: المدينة والبادية، ج2، ص641. عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص220.

كما لا تعوزنا الدلائل الكاشفة عن استقرار الهلاليين بالمغرب الأوسط، ولا الأضرار التي خلفوها، من ذلك إشارة الادريسي إلى الحيز الجغرافي الّذي شغلوه قائلا: "وإلى ها هنا تصل غارات العرب وضررها...ثم إلى حصن الناظور إلى سوق الخميس وبه المنزل وهذه الأرض كلها تجولها العرب وتضر بأهلها"[33] ، أما ابن سعيد فيشير قائلا: "والبلاد-المسيلة- التي حولها مجالات لعرب رياح"[34] ، أما الوسياني فقد خصص بابا بعنوان "ما قيل في الّذي في أيدي العرب من الأموال من قول المشايخ من المسلمين"، ويروي أن امرأة (خلال القرن 5هـ/11م) من تماواط[35] قالت: "كل الذي في أيدي العرب من الجمال هي لنا قد أخذوها منا غصبا"[36] ، خاصة وأن الإبل "ثروة الأعراب وأرزاقهم"[37] ، ولا غرابة فيما قد يحدثه هؤلاء من خراب بالمناطق التي وصولها، لأن المستنصر لما أباح لهم اجتياز النيل قال لهم: "قد أعطيتكم المغرب، وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون"[38] .

وبهذا شكل الأثبج أهم القبائل الهلالية بالمنطقة؛ فبعد أن تمكنوا من اخضاع صنهاجة استقورا بجبال أوراس الشرقية[39] ، وكان لهم عدة بطون-كما أشرنا سابقا- وكان معاشهم حسب ابن خلدون: "أنهم رحل جائلون في القفار يقيمون في معاشهم من الحبوب على زروع أهل الجبل"[40] .

ويحسن الذكر أن هذا التوزيع القبلي للعرب الهلالية بالمغرب الأوسط لم يستقر على حاله، نظرا للأحداث السياسية والعسكرية التي عرفها المغرب الإسلامي برمته ثم إن القبائل

---

[33] – الادريسي: المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تح وتر: محمد حاج صادق، 1983، ص118.

[34] – أبي الحسن علي بن سعيد: كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص126.

[35] – تماواط: واحة من واحات وارجلان. هامش. عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة: مجموع سير الوسياني، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2006-2007، ص329.

[36] – بوعصبانة: مجموع سير الوسياني، ص551. نوال بلمداني: المرجع السابق، ص125.

[37] – بوعصبانة: مجموع سير الوسياني، ص551.

[38] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص20.

[39] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص30-31.

[40] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص32.

والبطون الهزيلة كانت تتخلى عن مواطنها أمام القبائل الأقوى الوافدة عادة من إفريقية غالبا ومن هنا ضل الحراك القبلي الهلالي دائم الاضطراب وغير مستقر.

ما عدا استقرار أكثر البطون الهلالية بالمناطق الشرقية من المغرب الأوسط ما بين بونة وطبنة وقسنطينة والزاب وميلة والقلعة، بسبب الفراغ الديمغرافي الذي خلفه انهيار أقوى العصبيات البربرية وأعني بذلك كتامة وهوراة[41].

أما الجهة الغربية من المغرب الأوسط، فبالرغم من انتصار العرب الهلالية إلا أن قبائل زناتة تمكنت من إعاقة تقدمها نحو الغرب لفترة من الزمن حيث شكلت قبائل بني بادين الزناتية سياجا على التلول القبيلة، الممتدة ما بين قلعة سعيدة في الغرب إلى المدية في الشرق[42].

وبذلك يمكننا القول بتحول الأراضي والبسائط بالجهات الشرقية من المغرب الأوسط إلى مراعي ومجالات لقبائل العرب البدوية في وقت مبكر من النصف الثاني من القرن 5هـ/11م في حين امتد النزوح الهلالي غربا في القرن 6هـ/12م[43].

---

[41] – عللت فوزية كرزاز عدم مواجهة قبائل كتامة للوجود الهلالي بمواطنها بسببين هما: إما لمكانتة الدولة العبيدية بهؤلاء بعدم التعرض للعرب، وإما التقرب منهم من تلقاء أنفسهم نكاية في صنهاجة. صور من الواقع الاجتماعي للقبائل الهلالية بالقلعة وأحوازها، ملتقى دولي: مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس أيام 9-10-11 أفريل، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التريخ، المسيلة، 2007، ص343.

[42] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص95. مصطفى عريب: المرجع السابق، ص101.

[43] – فوزية كرزاز: صور من الواقع الاجتماعي للقبائل الهلالية بالقلعة وأحوازها، ص343.

ثانيا: علاقتهم بالسلطة من المواجهة إلى الاندماج:

بعد الانتصار الساحق الذي حققته الجماعات الهلالية على الناصر بن علناس وأحلافه في موقعة سبيبة، وتم لهم بذلك السيطرة على مجال المغرب الأوسط، انتهج أمراء بني حماد سياسية ترويض هاته الجماعات وذلك بالتحالف معهم تارة ورشوتهم تارة أخرى، وهذا دفعا لخطرهم وأذاهم، فقد كان "الناصر بن علناس" يخصص سنويا جزءا من المحصول الذي يجنيه ويقدمه للهلالين مقابل عدم التعرض له ولعاصمته، وكذلك فعل باقي الأمراء الحماديين، وهذا ما ذكره ابن عذاري: "...وسار هؤلاء العرب حتى نزلوا على المنصور بن الناصر، فصالحهم على أن يجعل لهم نصف غلة البلاد من تمرها وبرها وغير ذلك، فأقاموا على ذلك باقي أيامه، وأيام ابنه الملقب بالعزيز، وأيام يحيى"[44]، الأمر الذي يدل على عدم قدرة أمراء بني حماد على صد القبائل الهلالية والوقوف ضدها.

كما احتل العرب الهلالية مكانة عالية في السلطة إلى درجة أن السلاطين والأمراء، أصبحوا يعتمدون عليهم اعتمادا كليا ومن الصعب على السلاطين الحفاظ على استقرار بلادهم في حالة تخلي هذه القبائل عنهم، فقد كانت هذه القبائل دائمة السند والقوة للدولة بل كانت هي الحصن الذي يحمي دفاعات الدولة وقت الشدة.

حيث نجد في أول حكم المنصور بن الناصر (1188/481م) عظم أمر بني هلال في المغرب الأوسط[45]، فهجموا على قلعة بني حماد في أيامه وشاركوه الحكم في المدن بدليل أن عبد المؤمن بن علي الموحدي لما استولى على مدينة جزائر بني مزغنة وجد بها شيوخا من الأثبج والجشم[46]، كما وجد أيضا الجيش الحمادي تحت قيادة يحيى بن العزيز (515هـ/1121م) وشيخ من قبيلة الأثبج[47].

---

[44] – ابن عذاري: البيان، ج1، ص124.

[45] – شوقي ضيف: المرجع السابق، ص38.

[46] – رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص154.

[47] – عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص154.

كما أدت هذه القبائل دورا بارزا في المجالس المملوكية، سواء في فترات الاستقرار أو الحرب، وكذلك في علاقاتها السياسية والدبلوماسية، ففي عهد المنصور بن الناصر عندما استرجع مدينة قسنطينة من بين أيدي أبي يكني ترك عليها صلصيل بن الأحمر من شيوخ الأثبج[48].

لذا نرى من خلال هذه العلاقات بين الجماعات الهلالية والسلطة الحمادية بأن ابن خلدون أخلط وجمع بين نتائج الغزو الهلالي على القيروان والقلعة معا، في حين لم تصل الأخيرة ما وصلته الأولى من خراب، و لم يشكل عليها هذا الغزو خطرا كبيرا لأنه بحوزتنا من الدلائل والقرائن التاريخية ما ينفي ذلك وهي:

1- منطقة القلعة لم تكن الهدف المقصود الذي لأجله قدم الهلالين من مصر، وبالتالي لا نتوقع فيها خسائر كبيرة.

2- اكتساح العرب للقلعة لم يكن شاملا بل انحصر في البوادي بدليل أن الناصر لم يفكر بالخروج منها على الرغم من شروعه في بناء عاصمة جديدة، في الوقت نفسه عني بالبناء والتعمير، فكان يدخل تحسينات باستمرار على مباني القلعة و قصورها[49].

3- ظلت القلعة تحتفظ بالمكانة السياسية كعاصمة إلى غاية سنة 482هـ/1089م مما يجعلنا نشك في خرابها كليا، و ما يعزز ذلك وجودها في جبل عظيم، هي حصينة منيعة لا تمكن بقتال [50] وهي تضاريس يصعب العرب الوصول إليها، ولا استحسانها للاستقرار على حد قول ابن خلدون في أن العرب لا يتغلبون إلا على البسائط.[51]

---

[48] – محمد طمار: المرجع السابق، ص120.

[49] – اسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1980 ، ص 181.

[50] – مجهول، كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 985 ، ص 167/ البكري، المسالك و الممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1-2003 – مج 2 ، ص 226/ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 10، ص 44-45.

[51] – المقدمة، ص 115.

4- تحول القلعة إلى عاصمة اقتصادية بعد سقوط القيروان في يد الهلاليين، يشير إلى ذلك البكري المعاصر لهذه الحقبة التاريخية المهمة في تاريخ بلاد المغرب فيقول "... وهي اليوم مقصد للتجارة، وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب.."[52]

5- ونحن نتتبع مسار القلعة تاريخيا، تتضح الرؤية أكثر في عدم خرابها على يد الهلاليين؛ بحيث لو تمكنوا من ذلك لما عاودوا الهجوم عليها سنة 512 هـ/ 1118م و أوقعوا بأهلها فخرج إليهم يحيى بن العزيز وتمكن من هزمهم وإخضاع القلعة من جديد إليه وعاد إليها مرة أخرى سنة 543 هـ/1148م لنقل آخر ما بقي فيها من الأثاث والأمتعة التي ورثها عن أجداده ولو طالتها يد العرب ما كان له إيجادها، كما أن الخراب الحقيقي لها عرفته على يد المؤمن بن علي سنة 547 هـ/1151م[53].

ومجمل ما يقال عن الغزو الهلالي والقلعة هو أن هذه الأخيرة نفوذها السياسي تضاريسها وقوتها العسكرية أمور من شأنها أن تشل عزائم الغزاة الطامعين في السيطرة لكن ذلك لم يحل لأن تتعرض للزحف والحصار أكثر من مرة وفي كل منها تخرج منتصرة، وكل شيء يدل على أن القلعة عندما أفل نجمها وهي في أوج عظمتها لم تكن إلا في بداية حياتها، ولولا الغزو الهلالي لأمكن لها أن تظل عاصمة إسلامية على غرار دمشق و بغداد والقاهرة ومركز من مراكز الحضارة العربية الإسلامية .[54] ومع ذلك لم يمنع العرب الاستقرار في بواديها بعدما صالحهم الناصر ومن بعده المنصور بها مقابل ترك المدن بسلام.وما كانا ليفعلا ذلك لولا تعدد جبهات المقاومة والمتمثلة في القبائل العربية وقبائل الزناتة أحيانا والدولة الزيرية .

---

[52] – المصدر السابق، ص 226.

[53] – اسماعيل العربي، المرجع السابق ، ص 134 .

[54] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 300.

وتزداد قبضة العرب لأقاليم الدولة الحمادية عندما تطرد قبلة رياح قبيلة زغبة من إفريقية سنة 466 هـ/ 1073م .[55]فسارع هؤلاء بوضع أنفسهم في خدمة بني حماد، كما أنها شكلت قوة أثرت سلبا على اقتصاد القلعة بمحاصرتها و قطع عنها طرق القوافل.[56]

ومنذ أن وطئت أقدام الهلالين أرض المغرب الأوسط وما أعقب ذلك من فتن وحروب دفعت بالكثير من سكان البسائط منها قبائل زواوة إلى ترك موطنها الأصلي واللجوء إلى المرتفعات الأعسر منالا متخذين منها مركزا للمقاومة ضد القادمين الجدد على حد تعبير أحد الباحثين[57] ، وحتى وإن أبدت قبائل زواوة رفضها للوجود الهلالي بأراضيها إلا أن سياسية أمراء بني حماد ساعدتهم على الاستقرار بالمنطقة لما أقطعوا قبائل رياح، عبيد وعمراوة من العرب الهلالية الأراضي المحيطة بقبائلها[58] ، وذلك لحاجة الدولة في استظهار سيوفهم وتوظيفها في كسر شوكة المناوئين لها من زناتة وبني عمومتهم الزيريين والقبائل الرافضة لدفع الجباية[59] ، الأمر الذي زاد في توتر العلاقة بين العرب الهلالية وسكان البسائط من قبائل زواوة الذين لم ينجوا من عيثهم وافسادهم، يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم، وحسبنا دليلا على ذلك ما تعرض له بني مليكش على يد الثعالبة[60].

---

[55] – اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 159–160.

[56] – ابن خلدون، العبر، مج6 ، ص 15-16 .

[57] –برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص ص358، 359.

[58] – مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6–9هـ/12–15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، المؤلفات للنشر والتوزيع، المسيلة، ط1، 1437هـ/2016م، ص112.

[59] – ابن خلدون: المقدمة، ص200، 201، روباربرنشفيك: المرج السابق، ص ص 358، 359.مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص112.

[60] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص75. مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص113.

ثالثا: ممارسة الزراعة:

إن اقتحام القبائل الهلالية للمغرب الإسلامي خلال القرن 5هـ/11م قد أحدث صدمة عنيفة بالنسبة للنشاط الزراعي والرعوي، وأسهم في ارتباكه وتراجعه، خاصة وأنهم لم يكونوا يعرفون الحرث والفلاحة، وما يثبت أن الفلاحة كانت المتضرر الأول من غزو هذه القبائل هي تحركاتهم الهادفة لمحاولة اكتساب مراعي جديدة لقطعانهم، ومجالات أخرى لانتجاعها[1]. لانتجاعها[1].

ويتجلى لنا من خلال استقراء بعض النصوص، أن الهجرة الهلالية أعادت صياغة العناصر البشرية المكونة للمجتمع المغربي عامة، ووقوع تأثيرات متداخلة، والتي برز تأثيرها الفعلي بعد القرن 5هـ/11م، حيث أصبح التوازن القبلي سيد الموقف[2] ، وبعد تخريب معالم الاقتصاد بالمغرب الأدنى، وشل نشاط المزارعين البربر فيه مدة طويلة، وبعد فترة من حياتهم بالمغرب أخذوا يقلدون البربر ويأخذون عنهم أساليب الزراعة والتجارة[3] ، وبذلك تسنى لهم تزويد المدن وتمويل سكانها بالحبوب[4].

وبالرغم من هذا كله فلا يمكننا تجاهل الخراب الذي أحدثوه في أرياف المغرب الأوسط خلال القرنين 5 و6 هـ/11 و12م، فقد تأثرت الزراعة نتيجة تخريبهم وعجزت زناتة عن حماية السهول الزراعية، كما غدت الحضنة مسرحا للقبائل[5].

وبذلك تحولت مساحات واسعة من أراضي المغرب الأوسط إلى ضواحي ومجالات تقطنها الساكنة الهلالية، لقد كان استقرارهم بها سريعا جدا[1] ، عللـه ابن خلدون بسهولة استيلاء العرب على البسائط لفقدانها الحامية وضعف الدولة[2] .

---

[1] – نوال بلمداني: المرجع السابق، ص127. فوزية كرراز: السيطرة الاقتصادية الهلالية بالمغرب الإسلامي، دورية كان التاريخية، ع12، 2011، ص54.

[2] – محمد حسن: الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن 9هـ/ 7–15م، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ط1، ط1، 2004، ص42؛ محمد حسن: المدينة والبادية، ج1، ص38.

[3] – رابح بونار: المرجع السابق، ص200.

[4] – الادريسي: المصدر السابق، ص 121.

[5] – عميور سكينة: ريف المغرب الأوسط في القرنين 5 و6هـ/11 و12م –دراسة اقتصادية واجتماعية، أطروحة ماجستير، ماجستير، قسم التاريخ، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطية، 2012–2013م، ص45.

غيـر أن حيـاة البـداوة والترحـال تغيـرت بعـد اسـتقرارهم، واهتمـوا بتربيـة الحيوانـات، وساهموا في إدخال الخيول العربية، وعوضوا ما اقترفوه من إفساد وتخريب.

فقد اهتمت هاته الجماعات الهلالية بالفلاحة وتربية المواشي، وكان يعقوب بن علي من أعظم أمراء رياح، أكثر ولوعا بالفلاحة والعمران، فقد اختط قرية فرفار قرب طولقة، واشتهرت أيضا منطقة جبل راشد بتربية الخيول العربية الأصيلة، وبذلك أصبحت الخيول النوع المفضل في الهدايا المملوكية كما أنهم عملوا على ادخال أصناف جيدة من المحاصيل وتحسين الزراعة[3].

كما أن خضوع مناطق واسعة من المغرب الأوسط للسلطة الهلالية أدى إلى انتشار الفوضى لأن سياسية الهلاليين تقوم على سياسية السيطرة على القرى والأرياف ثم اتخاذها كمناطق وقواعد للهجوم، وتضييق الحصار على المدينة، وهو ما يفضي إلى السيطرة على المسالك التي تزود المدينة بمختلف الاحتياجات، إضافة إلى أن تلك المناطق تحولت بشكل تدريجي إلى مناطق رعوية تستفيد منها بالدرجة الأولى القبائل الهلالية[4].

---

[1]– دومينيك فاليري: المرجع السابق، ج1، ص193.

[2]– ابن خلدون: المقدمة، ص178.

[3] – مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق، ص313.

[4] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص211.ابن عذاري: البيان، ج1، ص302.

رابعا: ممارسة التجارة:

بعد سيطرتالعرب الهلالية على السهول بالمغربين الأدنى والأوسط وعلى مجالات الرعي؛ صارت الطرق التجارية الداخلية والخارجية تحت سيطرتهم وبالتالي فقد تحكموا في القوافل التجارية، وبذلك أصبحت العاصمة الحمادية–القلعة– وضواحيها مشلولة اقتصاديا[1]، وصارت التجارة خاضعة لسلطة الجماعات الهلالية ولا تمر القوافل التجارية إلا بضريبة تدفعها[2] ، كما احتكرت هذه الجماعات بعض المنتجات كالتمر والملح، والسيطرة على طريق السودان الغربي أين يوجد الذهب والرقيق[3].

فكانت هذه القبائل هي التي تتحكم في توزيع المنتجات، وهذا ما أدى إلى ضعف النشاط التجاري، وانتشار ظاهرة التبدي[4].

كما سيطروا أيضا على السهل البحري لمدينة بونة، وقطعوا الاتصال بين البدو والمدن، وحولوا الحقول الخضراء إلى صحاري وهذا ما أدى إلى انكماش الأراضي الزراعية حول المدن التي أصبحت حقول مقفرة[5] .

فنجد قبيلة ذوي عبيد الله استولت على الطريق الممتد من تلمسان إلى هنين، ففرضوا على سكانها إتاوات ووضائع إلى درجة أنهم فرضوا عليهم ضريبة تعرف بضريبة الاجدازة فلا يمر مسافرا إلا بتصريح أو أداء الضريبة المفروضة عليهم[6]. وهذا لا يعني أنه لم يكن للعرب الهلاليين اسهامات كبرى في الجانب الاقتصادي خاصة في المراحل الأولى 5 و6 الهجريين/11–12 الميلاديين، فعندما استقرت هذه القبائل في المنطقة الممتدة من برقة إلى

---

[1] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص160.

[2] – عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص153.

[3] – المراكشي: المعجب، ص294. جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، توزيع منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 1999، ص241–243.

[4] – جورج مارسيه، المرجع السابق، ص241–243.

[5] – سعد زغلول: المرجع السابق، ص450.

[6] – جورج مارسيه: المرجع السابق، ص236.

المغرب الأوسط، ازدهرت تربية الخيول ولا سيما منطقة تلمسان[1] "ففيها الخيل العارية المشابهة لخيل برقة"[2] .

وعلى الرغم من سيطرة الجماعات الهلالية على الطرق والقوافل التجارية، فلا يجتازها غيرهم إلا بخفارة، فتوقفت حركة البربر التجارية، من هذه الناحية، لكن الهلاليين قاموا بها أحسن قيام ووسعوا نطاق التجارة بين التل والصحراء، ومن هنا ندرك إلى أي مدى ساهمت هذه القبائل في تنمية ميزانية دخل السلطة وتنمية الثروة الحيوانية، فلا يمكن التعرض للسيطرة الاقتصادية الهلالية بالمغرب الإسلامي بمعزل عن الوضع الاقتصادي في مصر وفي المغرب عشية الهجرة الهلالية، وكذا بمعزل السياسي المستمر به والذي صنعته ثلاث أقطاب رئيسية وهي السلطة الزيرية والحمادية والقبائل الزناتية، وإن كانت أبعاد اقتصادية بالدرجة الأولى وتمثلت في رغبة الزيريين في السيطرة على ايرادات التجارية الصحراوية ومراقبتها، فيما حرص الزناتيون الحفاظ على امتيازاتهم القديمة في هذه التجارة التي كان لهم فيها باع طويل منذ القرن 2هـ/8م ، والذي كان سابقا لجوهر النزاع بين الزناتين والعبيدين، ولكن في خضم التحولات الكبرى في المسالك التجارية استطاعت القبائل الهلالية ايجاد لنفسها أمكنة مجالات ذات أبعاد اقتصادية واستطاعت أن تندمج في السلطة والمجتمع المغربي برضى جميع الأطراف[3].

وفيما يلي ننوه بأهم المجالات التي سيطرت عليها الجماعات الهلالية وأهم التأثيرات التي تركتها على المجالات الاقتصادية:

-المجالات التي اختاروا الاستقرار بها في معظمها إن لم نقل كلها كانت ذات مواقع استراتيجية اقتصاديا وتجاريا كوقوعها على أهم المسالك التجارية ونلخص هذه المسالك في مسالك القوافل التجارة الصحراوية السودان ومصر والمتمثلة في واحات برقة وأوجلةوورجلان.

---

[1] – بسام كامل شقدان: باقة السوسان، ص311.

[2] – القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج5، طبع بالمطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م، ص113.

[3] – إلهام دحدوح: المرجع لسابق، ص56.

-طرق أخرى رابطة بين أهم مدن المغرب الأوسط، كالمسلك الكؤدي بين المسيلة إلى القيروان إلى قفصة عن طريق طبنة وبسكرة وتهودة، وكان يصل تيجيس بالمسيلة عبر طريق قسنطينة وميلة وسطيف.

-طريق يربط المسيلة بفاس عن طريق أشير وتنس وتاهرت وتلمسان.

-طريق يربط باغاية عن طريق بلزمة ونقاوس ومجانة بعنابة عن طريق تيجيس ومع القبائل الهلالية البدوية التي وإن لم تمارس النشاط التجاري لكنها استفادت من هذه المسالك بفرض ضريبة المرور أو ما تعرف بضريبة العهد والأمان (خفارة).

-لقد استولى العرب الهلالية على المناطق الخصبة للاستقرار وإن حولوا أجزاء منها إلى مراعي فإنهم أبقوا أخرى على حالها بل مارسوا النشاط الفلاحي حتى حققوا اكتفاء ذاتيا، ومولوا المدن بالحبوب واعتمدوا طريق التخزين الغلة وهي دليل على كثرة الإنتاج، كما أنها دليل على نية الاستقرار النهائي عند هؤلاء الجماعات وحققوا هذه النتيجة إما باجلاء أهل الأراضي عنها بالقوة، أو مشاركتهم ومقاسمتهم أملاكهم وبالتالي اندمجوا في المجتمع المغربي مما أعطى المنطقة أبعاد حضارية أخرى.

-لا الوجود الهلالي ولا أزمات القرن 5هـ/11م كانت لها الأثر السلبي بشكل كبير على الحياة الاقتصادية بالمنطقة على الرغم من الوجود الهلالي بها، فقد تواصلت الزراعة والصناعة والتجارة على أن التواصل لا يعني بأي حال من الأحوال الاستمرارية الكاملة للهياكل القديمة في منطقة المغرب الأوسط[1].

-سيطرت القبائل العربية الهلالية على مجاري المياه واحتكارها لأنفسهم.

-عملت القبائل الهلالية على زيادة الانتاج الزراعي وتربية الحيوانات ولا سيما تربية الجمال في الصحراء.

[1] – فوزية كرراز: السيطرة الهلالية، ص53.

وبذلك أصبحت الجماعات الهلالية جباة على ما تبقى من النشاطات الاقتصادية، ودخلوا مرماجنة عن طريق الأربس واستولوا عليها، وفرضوا ضريبة على سكانها، كما قاسموا أهلها القمح والشعير ما يكفيهم وزيادة، ومنها استولوا على مجانة واتخذوا بها مخازن لتخزين غلاتهم[1].

أما المناطق التي اختاروها للاستقرار فكانت في معظمها مواقع استراتيجية اقتصاديا من حيث وقوعها على أهم المسالك التجارية، من ذلك مسالك تجارة القوافل الصحراوية مع بلاد السودان وبلاد مصر والمتمثلة في واحات برقة وأوجلةووراجلان، والطرق الرابطة بين أهم مدن المغرب الإسلامي، مثل المسلك المؤدي من المسيلة إلى قفصة عن طريق مقرة وطبنة وبسكرة وتهوذة، وما كان يصل تيجس بالمسيلة عن طريق قسنطينة وميلة وسطيف، والمسيلة بفاس عن طريق أشير وتنس وتاهرت وتلمسان والطريق الرابط باغايةبطبنة عن طريق بلزمة ونقاوس، ومجانة ببونة عن طريق تيجس، بيد أن القبائل الهلالية لم تمارس النشاط التجاري، لكن من دون شك استفادت من هذه المسالك بفرض ضريبة المرور أو ما تعرف بضريبة العهد والأمان[2].

منذ أن أصبح المغرب ولاية تابعة لمركز الخلافة في المشرق، ازداد عدد الوافدين إليه من القبائل العربية في شكل هجرات متتابعة وذلك لما شاع عنه من الخيرات الكثيرة[3]، كما أن بعده عن مركز الخلافة شكل مناخا خصبا للعديد من المضطهدين والمعارضين السياسيين والمذهبيين الّذين لجؤوا إليه وأشاعوا فيه من المذاهب التي فشلوا في نشرها في المشرق الإسلامي[4]، ومن القبائل التي دخلت المغرب بنو هاشم، بنو تميم، جهينة، سليم، بنو

---

[1] – الادريسي: المصدر السابق، ص155، 156.فوزية كرزاز: المرجع السابق، ص53.

[2] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص97–98. فوزية كرزاز: المرجع السابق، ص53.

[3] – أبو العرب: طبقات علماء إفريقية وتونس، ط2، تح: علي الشابي وحسن الباقي، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت)، ص70 وما بعدها.

[4]–موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ص153.

عدي، بنو أمية، بنو أسد وغيرهم كثير، هذا فضلا عن العناصر الرسمية التي قدمت كوفود ذات مهام رسمية كالولاة والعمال وحاشيتهم والجنود وعائلاتهم[1].

هذا ولم يكتف العرب بالاستقرار ومشاركة البربر في أملاكهم، وفتح المجال التجاري معهم ، بل فرضوا سيطرتهم على الطرق التجارية البرية. ومن البديهي أن يعرقلوا القوافل التجارية بعدما جسدوا استقرارهم حولها، ومن منطلق أن هذه المناطق ملكا لهم فلا بد من فرض مراقبة شديدة عليها، لاسيما تلك الطرق التي اعتمدها المغرب في تجارة التبر من السودان والتي تمثلت في ثلاث طرق رئيسية ، أولها الطريق الغربي عبر سجلماسة والثاني وهو الأهم وهو الطريق الأوسط عبر ورقلة، ثم الطريق الشرقي عبر الجريد وطرابلس مرورا بغدامس . وبحكم هذه العرقلة أكيد توقفت مؤقتا تجارة الذهب ببلاد المغرب. ومما لاشك فيه أن القبائل التي عرقلت القوافل التجارية سرعان ما أعادوا تنشيطها.[2]

[1] – مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص32–33.

[2] – فوزية كرزاز: السيطرة الهلالية، ص54–55.

خامسا: علاقاتهم بالمجتمع:

إنّ من أكبر آثار تركته الهجرة الهلالية أنّها أكملت تعريب المغرب الإسلامي لغة ودما، من خلال المصاهرة والزواج، وانتشار الجماعات الهلالية في المدن والبوادي والصحراء[1]، "فتمكنت اللغة العربية من أن تكون لغة تخاطب واستعمال وكتابة[2]، ويتجلى هذا التعريب في:

أ-المصاهرة:

فقد عملت هذه القبائل على تعديل التكوين الجنسي والعنصري للقبائل البربرية مما أدى إلى اختلاط الدم العربي بالبربري[3]، والذي نتج عنه ظهور أجيال أقوى شكيمة وأشد مراس[4]، وذلك عن طريق المصاهرة، فاختلط عرب الهجرة الهلالية بساكنة القرى والضواحي وبوادي المغرب الأوسط[5] .

ب-انتشار اللغة العربية (تبدل اللسان):

لقد قدمت الجماعات الهلالية خدمة حضارية في غاية الأهمية للمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، متمثلة في نشر اللغة العربية ببلاد المغرب الأوسط، وهي مختلفة عن تجربة التعريب التي تعود لمرحلة الفتح الإسلامي، وارتباط مدن المغرب الأوسط وعلمائه بالمشيخة في المشرق لكن ذلك اقتصر في الغالب على المدن والحصون لا أكثر[6] .

بينما تغلغلت اللهجة الهلالية في الضواحي والبوادي والأرياف[7]، إلى القبائل البربرية الضعيفة من حيث العصبية وذلك بحكم الجوار[8]، وأخذوا عنهم عاداتهم، واستعرب كثير

---

[1] – يحيى أبو المعاطي: الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس (638-488هـ/856-1095م)، دراسة تاريخية مقارنة، أطروحة دكتوراه، ج2، القاهرة، 1421هـ/2000م، ص612.

[2] – الناصر السلاوي، المصدر السابق، ص145.

[3] – إلهام دحدوح: المرجع السابق، ص56.

[4] – مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق، ص337.

[5] – يحيى أبو المعاطي: المرجع السابق، ص621.

[6] – موريس لومبار: المرجع السابق، ص230.

[7] – راضي دغفوس: المصدر السابق، ص214.

[8] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص66.

منهم، فزادت اللغة العربية انتشارا بالاحتكاك والمصاهرة، وأخذت البربرية بالتقلص ويتوارى ظلها في الجبل[1].

ومن القرائن ذلك انتقال قبائل هوراة التي بتبسة إلى اللسان العربي حيث نسوا رطانتهم[2]، وكذلك انتقلت قبيلة ولهاصة التي كانت ببسيط بونة إلى اللسان العربي الهلالي ونسوا رطانتهم البربرية[3].

وكذلك مجاورة السدويكشيينالكتاميين الذين كانوا بالبسائط بين قسنطينة وبجاية[4] للعرب الهلالية إلى انتقالهم أيضا إلى اللسان العرب وتخليهم من رطانتهم البربرية[5]، كما أدى استقرار بطون عياض من الأثبج بجوار قبائل عجيسة بضواحي القلعة إلى تأثرهم أيضا باللسان العربي[6].

والملاحظ أن الأجزاء الشرقية من المغرب الأوسط، كانت الأكثر تفاعلا بين العرب والبربر وذلك لانتشار العرب مبكرا في تلك المجالات أي في منتصف القرن 5هـ/11م، بينما الأجزاء الغربية تأخر الانتشار إلى غاية القرن 6هـ/12م.

أ-المساكن الهلالية:

من المتعارف عليه تاريخيا واجتماعيا على أن مساكن أهل البادية هي الخيام[7]، والتي كانت مسكنا للهلاليين باعتبارهم من أعرق الأمم في البداوة[8] ، ولقد أشار ابن خلدون أن مساكن ومباني أهل البادية متخذة من الشعر والوبر أو الشجر[9].

---

[1] – يحيى أبو المعاطي: المرجع السابق، ص625.

[2] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص288.

[3] – نفسه، ج6، ص233.

[4] – نفسه، ج6، ص288.

[5] – موسى لقبال: المرجع السابق، ص124.

[6] – نفسه، ص71.

[7] – الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص23.

[8] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص27.

[9] – ابن خلدون: المقدمة، ص49.

ويشير الوزان على استمرار العرب في اتخاذ الخيام مسكنا لهم مع مرور الزمن[1]، والتي يصفها بالجمال والعظمة[2]، فأدى دخول قبائل بني هلال إلى أن تغطت سهول المغرب بخيامهم[3] ، ما يعكس اكتساح الظاهرة البدوية للمغرب الأوسط.

ج-العادات والتقاليد:

من بين العادات التي أتى بها الهلاليون إلى بلاد المغرب نقلهم النساء معهم في حروبهم[4]، وذلك حتى تزداد شجاعتهم ويقل خوفهم[5]، كما نقل إلينا الوزان الطريقة التي كان العرب ينقلون بها نساءهم، حيث كانوا يحملون على هوادج كالسلال تغطي بزرابي جميلة جدا وهي هوادج صغيرة لا تسع إلا امرأة واحدة[6]، ويخبرنا أيضا عن بعض عادات النساء العربيات في أخذ الزينة التي لا يبدينها إلا لبعولتهن وأبناءهن[7]، حيث كان النساء اللواتي يعشن في الصحراء يستعملن الحنة في معظم أجسادهم، في حين كانت النسوة اللواتي كن من أشراف البلاد محتفظات ببياضهن الطبيعي[8].

---

[1] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص47.

[2] – نفسه، ج1، ص62-63.

[3] – الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص23.

[4] – الكفيف الزرهوني: ملعبة الكفيف الزرهوني، تح: محمد بن شريفة، المطبعة الملكية، الرباط، 1407هـ/1987م، ص92. مصطفى عريب: المرجع السابق، ص116.

[5] – الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص64.

[6] – نفسه، ص64.

[7] – نفسه، ص65.

[8] – نفسه، ص64.

تبين لي بعد البحث حول هجرة العرب الهلالية من خلال المصادر التاريخية والمراجع ونصوص كتب الرحلة والجغرافيا إلى المغرب الأوسط أنها تركت أثرا على المجال الجغرافي للمغرب الأوسط والمجتمع عبر زمن طويل إلى اليوم متمثلا في انتشار اللغة العربية، هذا من جهة ومن جهة أخرى واثبات أن الهجرة الهلالية كباقي الهجرات اليوم التي تفر من الفقر والجوع إلى مناطق الثراء والرزق والاستقرار والأمان.

كما توصلت بعد كل هذا إلى النتائج التالية منصفة لهاته الهجرة :

- نجاح السلطة الحمادية بامتياز في عملية ادماج القبائل الهلالية في المنظومة الإجتماعية والإسلامية من خلال جهود الحكام خاصة خلال القرن 6 و7 الهجريين/12-13 الميلاديين.
- كما كان استغلال السلطة المركزية لهاته القبائل لأغراضها السياسية والعسكرية والصراعات الشخصية، نصيب من عدم استقرارها واندماجها في المجتمع.
- عمل بعض السلاطين على ضرب مواطن الاستقرار كحملات العسكرية التي قام كل من السلطان أبي عنان والسلطان أبي الحسن المريني فيما بعد.
- أثرت لغة التخاطب لقبائل بني هلال في اللسان البربري الذي كان طاغيا على اللسان العربي في الأرياف والمدن، وسارت عملية التخاطب بسير عملية المزج والاحتكاك طيلة قرون عديدة.

الملحق رقم 1:أهم البطون الهلالية: الثعالبة

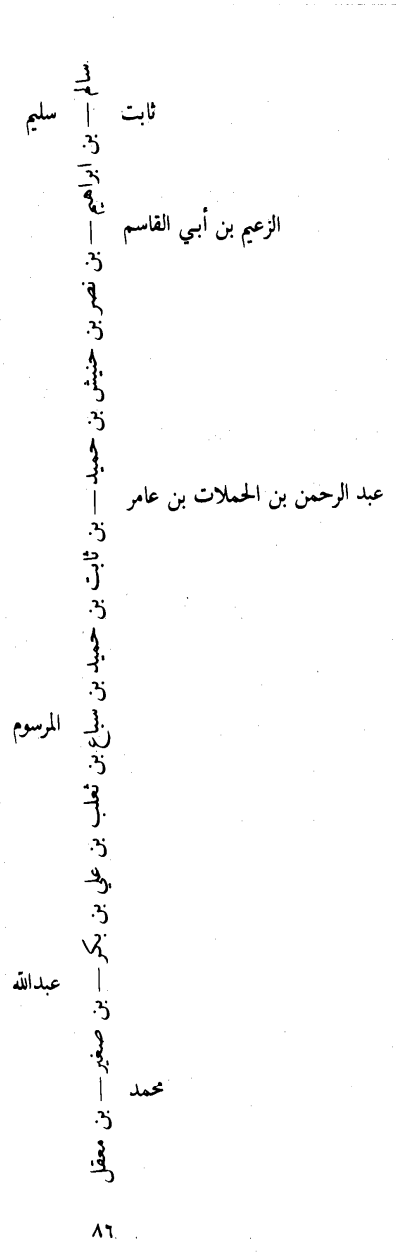

ابن خلدون:العبر، ج6، ص86.

أهم البطون العرب الهلالية:زغبة

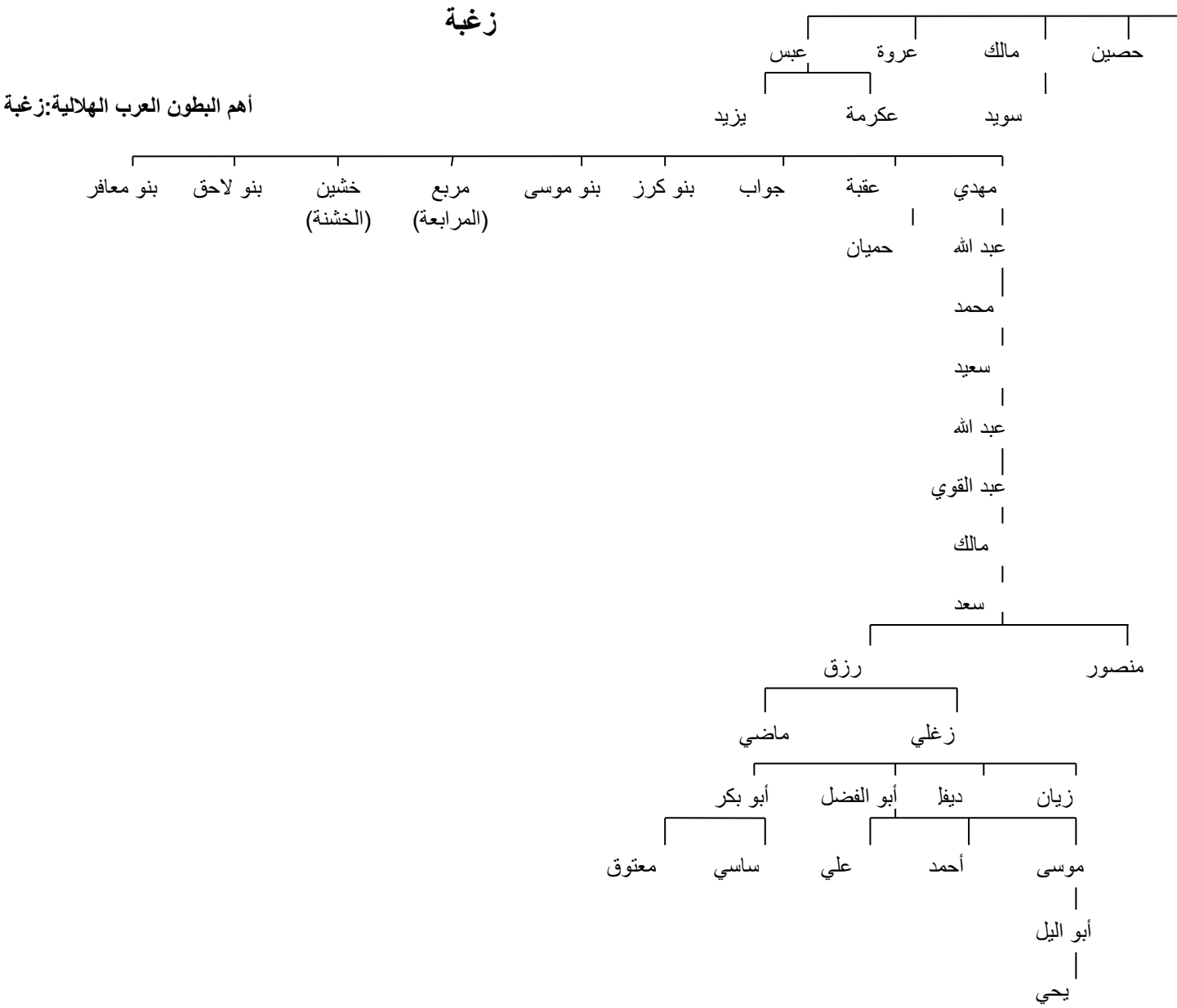

محمد حسن: المدينة والبادية، ج1، ص 104.

الملحق رقم 1:

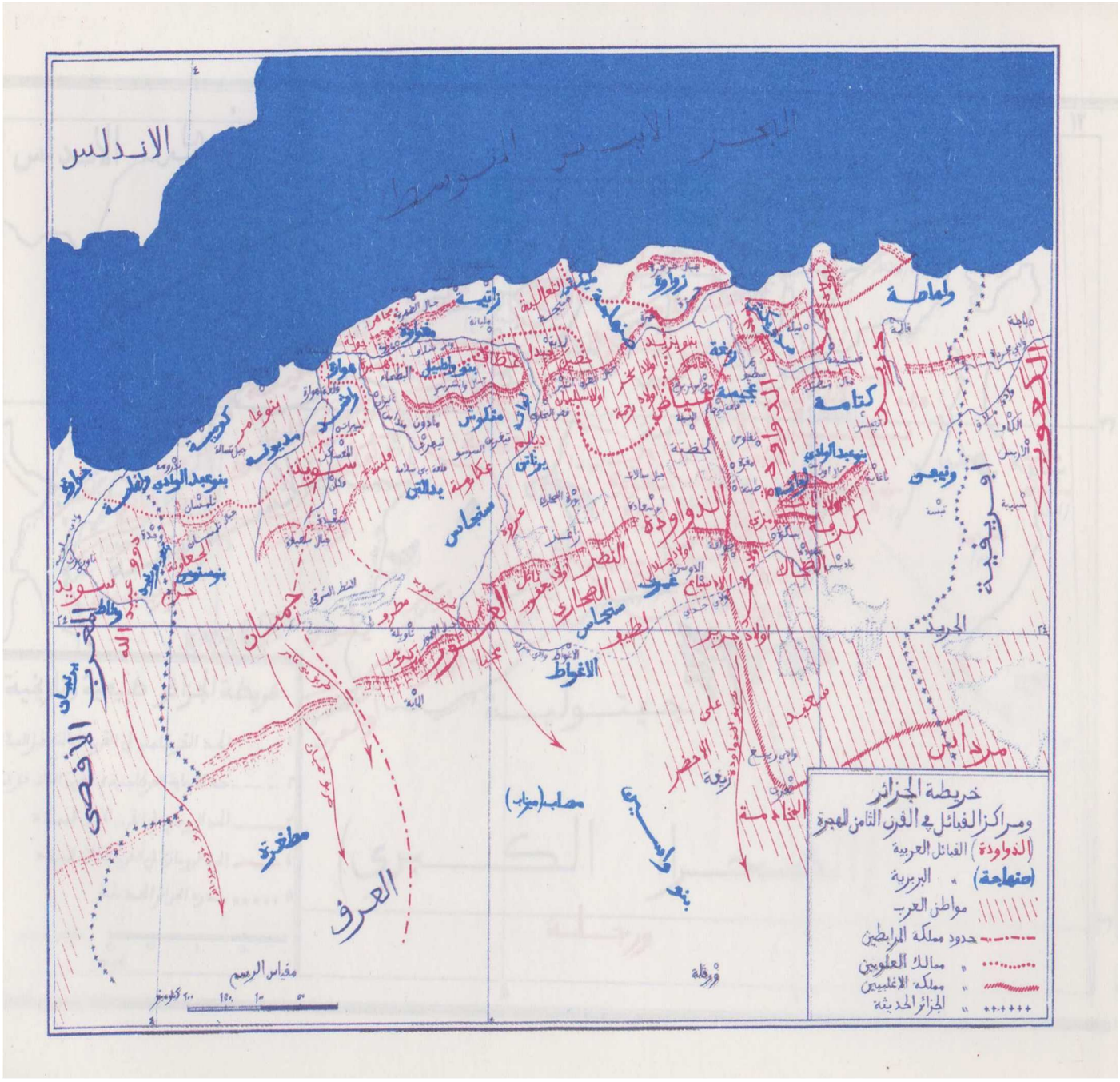
الاندلس
البحر الابيض المتوسط
خريطة الجزائر
ومراكز القبائل في القرن الثامن للهجرة
(الذواودة) القبائل العربية
(صنهاجة) " البربرية
مواطن العرب
حدود مملكة المرابطين
ممالك العلويين
مملكة الاغلبيين
الجزائر الحديثة
مقياس الرسم
العرق
مطغرة
الذواودة
النصر الصحاري
الاغواط
مصاب (ميزاب)
وارقلة
مليانة
المدية
مدايس
الجزائر
تنس
مستغانم
وهران
تلمسان
سعيدة
تيارت
بسكرة
الزاب
الحضنة
الزيبان
الحدود الشرقية
المغرب الاقصى

الملحق رقم 2:

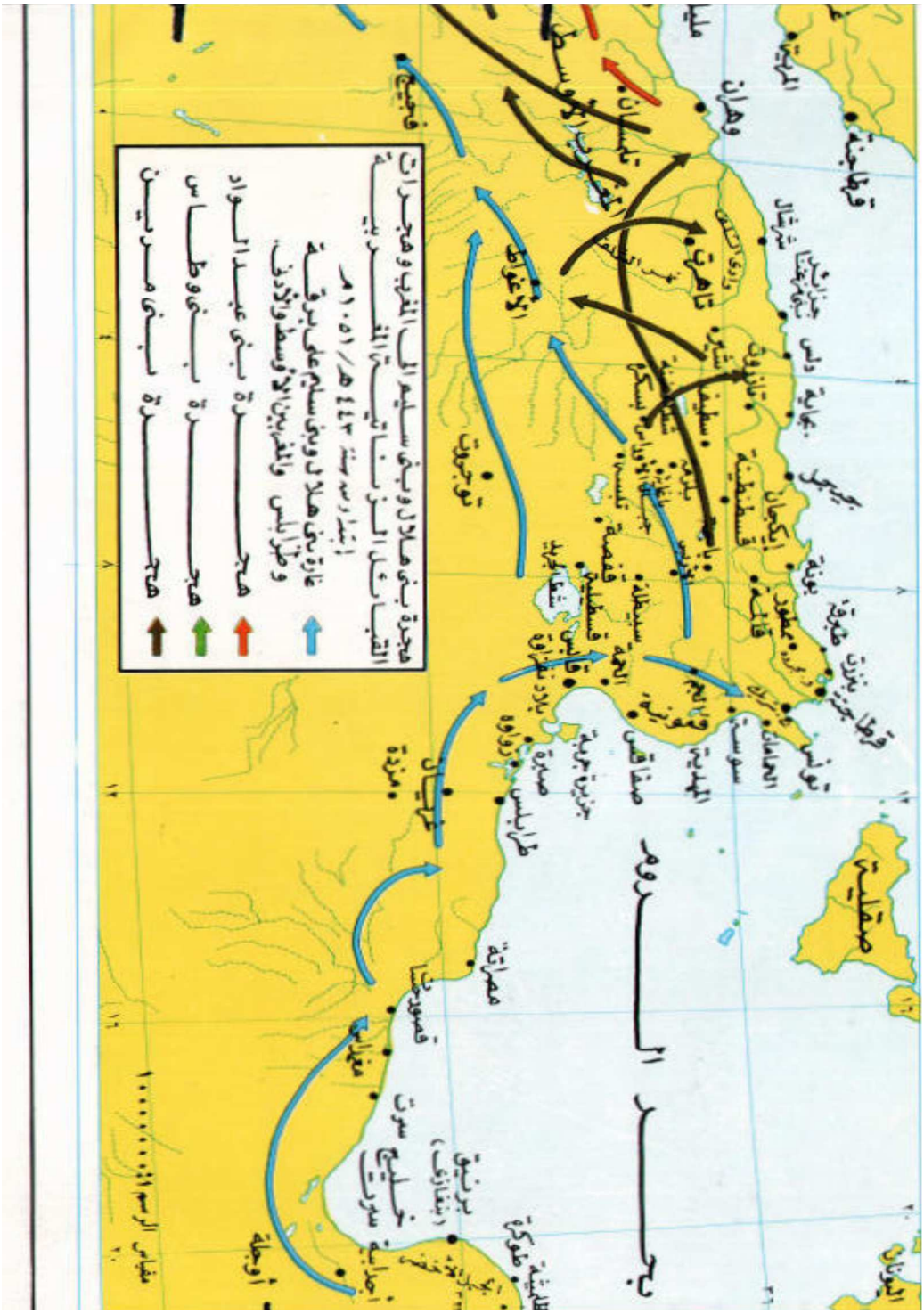

حسبن مؤنس: أطلس تاريخ الاسلام: ط1، الزهراء للإعلام العربي-القاهرة،1407ه/1987م، ص 160.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

1-ابن الأثير علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق،ط1، دار الكتب العلمية للنشر- بيروت، 1407ه/1978م،

2-ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة،ط1، دار الفكر-بيروت، 1424ه/ 2004م.

3-أبو العرب تميم: طبقات علماء إفريقية وتونس، ط2، تح: علي الشابي وحسن الباقي، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت).

5-أبي الفدا عماد الدين إسماعيل ابن علي: المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، تقديم: حسين مؤنس، ط1، دار المعارف- القاهرة، ج1.

6-الادريسي أبو عبد الله: المغرب العربي-من كتاب نزهة المشتاق- تحقيق وترجمة: محمد حاج صادق، د.ط.1983م.

7-الأشرف بن رسول بن يوسف عمر: طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق: ك.و. سترستين،دار صادر للنشر والتوزيع- بيروت،1412ه/ 1992م.

8- البكري عبيد الله: المسالك و الممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1-2003.

9-بن الجوزي عبد الرحمن: القرامطة، تح: محمد الصباغ، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1981.

10-بن الخطيب لسان الدين: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (القسم الثالث)، تحقيقوتعليق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب- الدار البيضاء، 1964م.

11-بن تغري جمال الدين أبي المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط1، قدم له: محمد حسين شمس الدين، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413ه-1992م.

12-بن حزم أبي محمد علي بن سعيد الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر،1368ه/ 1948م، ج1.

13-بن سعيد أبي الحسن علي: كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970.

14-التجاني أبي عبد الله بن محمد:رحلة التجاني، قدم لها:حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب،2005م.
15-التميمي السمعاني أبو سعد عبد الكريم: الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت، 1998م.
16-الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا،ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي-بيروت، 1983م.
17-الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت: معجم البلدان، دار صادر-بيروت، 1397ه/1977م.
18-الحميري أبو محمد عبد الملك:السيرة النبوية، تحقيق: محمد عفيف الزعبي، مكتبة النهضة الجزائرية للنشر والتوزيع-الجزائر، 1396ه/ 1976م.
19-الدباغ أبو يزيد عبد الرحمان بن محمد: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: محمد ماضور، الدار التونسية للنشر-تونس، مكتبة الخناجي للنشر-مصر، 1978م.
20-الزرهوني الكفيف: ملعبة الكفيف الزرهوني، تح: محمد بن شريفة، المطبعة الملكية، الرباط، 1407ه/1987م.
21-الشتريني أبو الحسن علي بن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق: احسان عباس،ط1،دار الثقافة للنشر-بيروت، 1979م.
22- عبد الرحمن ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، وضع حواشيه: خليل شحادة، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1421ه/2000م.

23-القاضي النعمان بن محمد: افتتاح الدعوة وبداية الدولة، تحقيق: فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للتوزيع-تونس، 1986.
24-القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق:إبراهيمالأبياري، 1963م.
25- القلقشندي أبي العباس أحمد بن علي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان،تحقيق: إبراهيمالأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري-القاهرة، دار الكتاب البناني-بيروت،ط2، 1402ه/ 1982م.

26-القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج5، طبع بالمطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م.
27-مجهول، كتاب الإستصار في عجائب الأمصار، نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.
28-المراكشي ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، تحقيق: ج.س.كولانولبفنيبروفنسال، دار الثقافة للنشر- بيروت، 1983م.
29-المراكشي ابن عذارى: البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب، ط1،تح: بشار عواد معروف ومحمود بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ج1، 1434ه/2013م.

30-المراكشي عبد الواحد بن علي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، ط1، منشورات دار الكتب العلمية-بيروت، 1419ه/ 1998م.
31-المقريزي تقي الدين أحمد بن علي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء(د.ت.)،ج2.
32-النمري ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق : شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، 1403ه/ 1991م.
33-النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب:نهاية الأرب في فنون الأدب، ، تحقيق: عبد المجيد ترحيني ، ط1 دار الكتب العلمية للنشر-بيروت، 1424ه/2004م.
34-الهيتمي الحافظ ابن حجر: مبلغ الأرب في فخر العرب، علق عليه وخرج أحاديثه، يسرى عبد الغني عبد الله، ط1، 1410ه/1990م، دار الكتب العلمية-بيروت.

ثانيا: قائمة المراجع:

35-إحسان إلهي ظهير: الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، (د.ت).
36-إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1980 .
37-ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ط3، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م.

38-جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيكل، توزيع منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 1999.
39-حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ط14، دار الجيل للنشر-بيروت، مكتبة النهضة المصري-القاهرة، 1996م.
40-حسين ممدوح وشاكر مصطفى: الحروب الصليبية في شمال أفريقية وأثرها الحضاري،ط1،دار عمار-عمان، 1419هـ/1998م.
41-دومينيك فاليري: بجاية ميناء مغاربي 1067-1510م، تر: علاوة عمارة، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014م.
42-رابح بونار: المغرب العربي-تاريخه وثقافته-، ط3، دار الهدى للنشر-عين مليلة، 2000م.
43-رشيدبورويبة: الجزائر في التاريخ في العهد الإسلامي، ترجمة: محمد بلقراد،المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، 1984م.
44-سعد أبو يوسف الحوتي: أنساب القبائل العربية، ط1، مطبعة العرام-الاسكندرية، 2002م.
45-سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، منشأة المعارف للنشر والتوزيع- الاسكندرية،1990م.
46-شارل أندري جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية- تونس، الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، ط2، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر- تونس، 1398هـ/ 1978م، ج2.
47-صالح بن قربة: المسكوكات المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، 1986م.
48-صفي الرحمان المبار كفوري: الرحيق المختوم-بحث في السيرة النبوية-المكتبة العصرية للطباعة والنشر-صيدا- بيروت، 1419هـ/1999م.
49-عبد الحميد خالدي: الوجود السليمي في الجزائر، ط1، دار هومة، الجزائر، 2005.
50-عبد الحميد زغلول: تاريخ المغرب العربي، دار المعارف- الاسكندرية، 1990م، ج3.
51-عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بأفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، تقديم: علي الشابي، الدار التونسية للنشر- تونس، 1395هـ/ 1975م.

52-عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الوسيط، مؤسسة الشباب الجامعي للنشر، 2008م.
53-عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة المغرب العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، ج1.
54-عبد الكريم غلاب: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي،ط1،دار الغرب الإسلامي للنشر-بيروت، 2005م.
55-محمد حسن: الجغرافيا التاريخية لافريقية – من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ/ 6-15م فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات- ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر وللتوزيع-بيروت، 2004م.
56-محمد حسن: الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن 9هـ/ 7-15م، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ط1، 2004.
57-محمد حسن:المدينة والبادية بافريقية في العهد الحفصي،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية-تونس، 1999م.
58-محمد سهيل طقوش: تاريخ الفاطميين غي شمالي أفريقية ومصر وبلاد الشام، ط1، دار النفائس للنشر-بيروت 2001م.
59-مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب- في عصري الموحدين وبني مرين-، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، 1982م.
60-مفتاح خلفات: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9هـ/12-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، المؤلفات للنشر والتوزيع، المسيلة، ط1، 1437هـ/2016م.
61-ميكال يا ندي خوية: القرامطة (نشأتهم، دولتهم، وعلاقاتهم بالفاطميين)، ط1، تر: حسني زينه، دار ابن خلدون، بيروت، 1978.
62- الهام حسين دحروج: مدينة قابس من الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية، إشراف: محمد بركات البيلي، كلية الآداب- القاهرة، 2000م.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

63-رحلي صليحة: المسيلة وجهتها في العصر الوسيط-دراسة منوغرافية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1435هـ/2014م.

64-عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة: مجموع سير الوسياني، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2006-2007.
65-عميور سكينة: ريف المغرب الأوسط في القرنين 5 و6هـ/11 و12م -دراسة اقتصادية واجتماعية، أطروحة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطية، 2012-2013م.

66-مصطفى بن عريب: مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق (من القرن الرابع الهجري إلى سقوط دولة الموحدين 668هـ/1269م، أطروحة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2016-2017م.
67-نوال بلمداني: نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4-5هـ/10-11م)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2013-2014م.
68-يحيى أبو المعاطي: الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس (638-488هـ/856-1095م)، دراسة تاريخية مقارنة، أطروحة دكتوراه، ج2، القاهرة، 1421هـ/2000م.

رابعا: الملتقيات والمقالات:

69-فوزية كرراز: السيطرة الاقتصادية الهلالية بالمغرب الإسلامي، دورية كان التاريخية، ع12، 2011، ص54.
70-فوزية كرراز: صور من الواقع الاجتماعي للقبائل الهلالية بالقلعة وأحوازها، ملتقى دولي: مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس أيام 9-10-11 أفريل، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التريخ، المسيلة، 2007.
71-العربي عبد الرزاق: دائرة المعارف التونسية، بيت الحكمة قرطاج- تونس، 1994، الكراس4.

3-المراجع بالأجنبية:

72-Georges labrica la nationalismed'ibmkhaldoin,extraix de la muquadima, untrepédagagipue, Aapré bin, hachette, Alger, 1965, p.185
-73NordineMalki les tribusarabes et Berbers de l'Afrique du nordd'après la déscrcptiomgénérale de l'afrique de marmolactes du 3eme congers d'histoire et de la civilisation du magreboran. opu. Alger 1987 tome p.p.45-47.

فهرس الموضوعات:

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
الاهداء	
المقدمة	
الفصل الأول: الهجرة الهلالية إلى المغرب الأوسط	
1-ماهية الهجرة الهلالية	5
أ-التعريف بهم	5
ب-موطنهم	6
ج-دخولهم في الإسلام	7
د-علاقتهم بالقرامطة	9
2-أسباب الهجرة من المشرق إلى المغرب	11
أ-السياسية	11
ب-الاقتصادية	14
3-أوضاع المغرب الإسلامي قبيل الهجرة	16
أ-الأوضاع السياسية والعسكرية	16
ب-الأوضاع الاقتصادية	18
ج-الأوضاع الاجتماعية والفكرية	21
4-دخول القبائل الهلالية إلى المغرب الإسلامي	23
5-توزيع القبائل الهلالية في مجال المغرب الأوسط	27
أ-الأثبج	27
ب-رياح	28
الفصل الثاني: علاقة العرب الهلالية بالدولة الحمادية	30
1-السيطرة على المجال	31
2-علاقاتهم بالسلطة من المواجهة إلى الاندماج	37
3-ممارسة الزراعة	41

4-ممارسة التجارة	43
5-علاقاتهم بالمجتمع	48
خاتمة	52
ملاحق	53
قائمة المصادر والمراجع	58
فهرس الموضوعات	65